

# المسيح ـ هو الله

للقديسين

يوحنا ذهبى الفم  
غريغوريوس النبى

١٦٠٢١٩٧٥  
٣٤١١٠٣٤  
١٦٠٢١٩٧٥

# المسيح هو الله

للقديسين  
يوحنا ذهبي الفم  
وغريرغوريوس النيسي

ترجمة ومقدمة  
دكتور  
سعيد حكيم يعقوب

**اسم الكتاب** : المسيح هو الله

**اسم المؤلف** : القديس يوحنا ذهبي الفم والقديس غيرغوريوس النيسى

**المترجم** : دكتور سعيد حكيم يعقوب

**المطبعة** : جي سي سنتر - ١٤ محمود حافظ ميدان سفير.  
ت: ٢٧٧٩٦١٣٧

**الطبعة** : الأولى نوفمبر/ ٢٠١٦

**رقم الإيداع** : ٢٠١٦/٢٣٦٧

كل حقوق الطبع والنشر محفوظة سواء ورقياً أو الكترونياً أو على شبكة الانترنت



قداسة البابا تواضروس الثاني  
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

# فهرس المحتويات

I . القديس يوحنا ذهبي الفم.....	٧
العظة الأولى:.....	١٥
مقدمة.....	١٧
المسيح هو الله.....	٢٣
رئيس السلام.....	٢٣
النعمـة إـنـسـكـبـت عـلـى شـفـتـيـه:.....	٢٧
لـمـاـذـاـ اـرـجـّـتـ الـأـمـمـ:.....	٣٣
الـعـرـشـ الـمـلـوـكـيـ:.....	٣٧
فـيـ كـلـ الـأـرـضـ خـرـجـ مـنـطـقـهـمـ:.....	٣٨
إـسـمـهـ عـظـيمـ بـيـنـ الـأـمـمـ:.....	٤٥
يـأـتـيـ وـلـاـ يـصـمـتـ:.....	٤٩
وـيـكـونـ موـتـهـ مـجـداـ:.....	٥٣
الـلـعـنـةـ صـارـتـ كـرـامـةـ:.....	٥٤
أـعـطـيـ سـلـطـانـاـ وـمـجـداـ:.....	٦٣
أـبـوـابـ الجـهـيمـ لـنـ تـقـوىـ عـلـيـهـاـ:.....	٦٨
خـرـابـ الـهـيـكـلـ:.....	٨٥
الـآـيـاتـ وـالـعـجـائـبـ:.....	٩٢

## I - القديس يوحنا ذهبي الفم

ولد القديس يوحنا ذهبي الفم في مدينة أنطاكية سنة ٣٥٤ م، في عصر استشرى فيه الفساد وانتشرت فيه الآثام والمعاصي، حيث كانت تشيع فيه روح البذخ والتنعم والافتخار بالثروة، وامتلاك القصور والعيون والإماء، والانهماك في الشهوات والملذات.

وكان القديس يوحنا ذهبي الفم يراقب كل هذا عن كثب، وكان يرى أن هذا المناخ لن يُفرز إلا تقسيماً للمجتمع على أساس طبقي، وتمييزاً بين الأغنياء والفقراة، وإتساعاً لمساحة الظلم الاجتماعي، ولذلك فقد جاهد لرفع هذا الظلم، وإزالة هذه الفوارق الاجتماعية المعيبة، وكرّس حياته لنشر كلمة الإيمان، وتحقيق حياة الفضيلة، والسعى في خلاص النفوس بلا فتور. وفي كل هذا لم يكن يخشى أحداً مهما كانت مكانته، بل إنه هاجم أباطرة بسبب سلوكهم غير المستقيم، وأيضاً لم يكن يتتردد لحظة في مقاومة الظلم مهما كلفه هذا من متاعب، ولم يشيه الاضطهاد عن التشبث بالحق والتمسك بمبادئه.

كان والده قائداً للجيش، أما أمه وتدعى "أنتوسا" فقد ترملت في سن مبكر جداً، وقد رفضت هذه الأرملة الشابة التقية الزواج مرة أخرى وكرست كل حياتها ل التربية يوحنا تربية روحية مستقيمة. وكان لهذه النسأة الروحية أكبر الأثر في حياته فيما بعد. فقد مارس حياة النسك فعلياً حتى أثناء تواجده مع أمه، لكن بعد انتقالها، ترك منزله وتوجه إلى البرية ليقضى ٤ سنوات في النسك إلى جوار ناسك سوري، ثم قضى سنتين بمفرده في احدى المغائر في جبال أنطاكية. إلا أن تدهور حالته الصحية أجبره على العودة إلى المدينة (أنطاكية). وقد تعمق في العلوم اللاهوتية أثناء فترة تسكه تعمقاً كبيراً، ظهرت نتائجه في تعاليمه اللاهوتية حتى أنه لُقب بذهببي الفم<sup>١</sup>.

في عام ٣٨١ رسم شمامساً بيد الأسقف ميليتيوس، وفي هذه الفترة كتب عدة كتب منها:

---

<sup>1</sup>

Δ.Γ.Τσαμης. "Εκκλησιαστική Γραμματολογία". Θεσλνίκη 1992, σελ.163-164.

١. ضد اليهود،

٢. ضد يوليانوس والأمم،

٣. عن البتولية،

٤. رسالة تعزية إلى أرملة شابة،

٥. الدفاع عن الرهبنة،

٦. الزواج ينبغي أن يكون مرة واحدة،

٧. ثلاثة رسائل إلى الراهب ستاجيريوس.

وفي عام ٣٨٦ م رسم كاهناً، ومن هذه اللحظة بدأ خدمته الحقيقية ونشاطه المكثف، وصارت له شهرة واسعة، حيث ذاع صيته من خلال عظاته المتميزة وقدرته على الخطابة. ولم تقتصر خدمته فقط على عمله الوعظي والتبشيري، لكنه انشغل أيضاً وبشكل أساسي بأعمال الرحمة في خدمة الفقراء والمعوزين، ولهذا فقد كرس جزءاً كبيراً من حياته في خدمة كل من له احتياج، الأمر الذي جعله محبوباً جداً في كل أنطاكية. وقد عاش حياة متقدفة، وكان ملبوسه خشناً ومأكله بسيطاً،

وكان يدوم على افتقاد القراء في بيوتهم ويذور المرضى والمسجونين ليخفف من آلامهم، وقد أكد بهذا السلوك على أن الحياة التعبدية لا يمكن ولا ينبغي أيضاً أن تكون في عزلة عن الحياة العملية، وبمعنى آخر لم تكن التقوى عنده بديلاً عن العمل.

في عام ٣٩٧ م - وبأمر من الإمبراطور أركاديوس - ذهب إلى القسطنطينية، لتقلد الكرسي البطريركي، فقد أجمع القسوس وكل الشعب على تزكيته لهذا المركز الرفيع على غير رغبته. وقام برسامته البابا ثافيلوس الأسكندرى سنة ٣٩٨ م. ومنذ ذلك الحين عاد النظام إلى بطريركية القسطنطينية، فاعتنى بالحياة الروحية للمؤمنين وكشف من عمله التبشيري ونجح في ضم كثيرين من الهرطقة والوثنيين إلى الطريق الأرثوذكسي القوي. وبسبب استقامة رأيه وجرأته في الحق، تصادم مع كثيرين منهم الإمبراطورة أذوكتسيا والوزير الأول في الإمبراطورية أفترببيوس. وقد وجهت له اتهامات عديدة وأُجبر على النفي ولكن بسبب زلزال أصاب المدينة (القسطنطينية) . قال البعض إن هذا قد حدث

بسبب نفيه . فأمرت الإمبراطورة بعودته من المنفى.  
لكن بعد شهرين من عودته اختلف مرة أخرى مع  
أذدوكسيا ، وأقتيد إلى المنفى ، وكانت أول محطة  
له هي مدينة كوكوسوس الأرمنية ، وبعد وقت قليل  
صدر أمر آخر بإرساله إلى مدينة بيتوندا في الضفة  
الشرقية للبحر الأسود . لكنه لم يصل إلى هناك لأن  
الطريق كان طويلاً وشاقاً . وبسبب المتابعة الكثيرة  
والمعاملة السيئة التي لاقاها ، تبيح في الطريق سنة  
٤٠٧ م.

وتحفل الكنيسة بتذكر نياحته في ١٧ هاتور  
٢٧ نوفمبر.

كتابات القديس يوحنا ذهبي الفم:  
القديس يوحنا هو من أكثر الآباء إنتاجاً ، حيث  
تقع مؤلفاته في ١٧ مجلداً في مجموعة الآباء باللغة  
اليونانية (٤٧-٦٤. ج. II). وقد تنوّعت كتاباته بين:

عظات تفسيرية:

+ سفر التكوين: ٨ عظات ، تشكّل تفسيراً  
شاملاً للسفر.

---

٣ المرجع السابق، ص ١٦٥.

+ شرح المزامير: ٥٨ مزموراً.

+ سفر إشعيا (٦ عظات).

+ إنجيل متى (٩٠ عظة)، تشكل تفسيراً كاملاً.

+ إنجيل لوقا (٧ عظات).

+ إنجيل يوحنا (٨٨ عظة).

+ أعمال الرسل (٦٣ عظة).

+ عظاته على رسائل القديس بولس وهي تشكل نصف عظاته تقريباً وتشغل الرسالة إلى رومية النصيب الأكبر من هذه العظات.

#### كتابات عقائدية:

+ ضد الأنوميين ١٢ عظة خُصصت للحديث عن المدركة الإلهية غير الطبيعة ( $\text{Ακατάληπτο τῆς θείας φύσης}$ )

+ ١٢ عظة "للمعمدين الجدد".

+ ٨ عظات "ضد اليهود".

#### عظات في موضوعات متفرقة:

+ عن الرحمة.

- + عن المجد الباطل وكيفية تربية الأولاد.
- + ثم عظات عن الكهنوت (٦ كتب عن سمو الكهنوت والمواهب والواجبات التي ينبغي توافرها فيمن يتقدمون لنوال سر الكهنوت).
- + عن الحياة الرهبانية.
- + عن الزواج والبتولية
- عظات في الأعياد والمواسم:
- + عن الظهور الإلهي.
- + عن ميلاد المخلص.
- + عن صلب المخلص.
- + عن عيد الخمسين.
- + عن القيامة.
- + ثم عظة عن خيانة يهودا.
- مدح للشهداء والأبرار القديسين:
- مثل أيوب، المكابيين، الشهداء الأساقفة
- القديسين، القديس بولس.
- رسائل:
- + كتب ٢٣٦ رسالة ومعظمها أُرسلت من المنفى.
- + ١٧ رسالة إلى الشمامسة أولبيا والتي كانت تعاونه في خدمته.

العظمة الأولى

الله هو أسمى

الفهم ذهبي ندا يوحنا للقديس

## مقدمة

في هذه العظة يقدم القديس يوحنا ذهبي الفم، براهين وإثباتات واضحة كل الوضوح تؤكد على أن المسيح هو الله الظاهر في الجسد، متوجهاً للبيهود والأمم، مستشهاداً بما قاله الأنبياء في مواضع كثيرة. أي أنه يستخدم الكثير من نصوص العهد القديم، مقدماً الدليل تلو الآخر، للتأكيد على أن المسيح هو الله، وأن مجئه إلينا على الأرض، قد سبق الأنبياء وأخبروا به. وهذه النصوص التي يستشهد بها، لا تقتصر فقط عن مجيء المسيح، بل والطريقة التي تحقق بها هذا المجيء، والتفاصيل الكثيرة عن حياته، وتعليمه، وألامه. هذه العظة تمثل بالحقيقة رسالة واضحة مبنية على حقائق ثابتة بأقوال الأنبياء.

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم، لأن كثيرين من الناس باتوا كسالى، البعض منهم هو هكذا بالطبيعة، والبعض الآخر قد إبتلعته إهتمامات وإنشغالات الحياة اليومية، والبعض الآخر أيضاً إذ يسود عليهم الجهل، لا يستطيعوا أن يحتملوا

ال الحديث المطول ، فقد وجدت أنه من الضروري أن أخفف من عنايتكم ، وأن لا أطيل حديثي . حتى أتغلب على تراخي الكسالي ، من خلال تلخيص حديثي وإختصاره ، وأن أقنع أولئك الذين ليس لديهم دافعاً للقراءة ، أن يستمعوا للحديث الذي سأتكلم فيه برغبة كبيرة ونية صادقة . لذلك لن أزيد حديثي بعبارات جميلة ، وكلمات براءة ، بل سأستخدم الكلمات بوضوح ، حتى تكون بسيطة ، وسهلة الفهم ، بأفضل ما يكون بالنسبة لعمل الخادم ، والخادمة ، والأرملة ، والتاجر ، والبحار ، وال فلاح . أيضاً سأحاول أن أختصر حديثي الطويل قدر الإمكان ، بكلمات قليلة ، فاتحاً لشهية كل واحد من السامعين المتوانين ، ليفهموا ما سأقوله بسهولة ، دون أي تعب أو عناء ، حتى تصبح هذه الكلمات ملكاً لهم ، ومحفورة في ذاكرتهم . وسأبدأ الصراع أولاً ضد الأمم ، لأنه لو تصادف وتساءل الوثني : من أين يمكن إثبات أن المسيح ، هو الله ؟ هذا بالطبع يجب أن نضعه أولاً كأساس ، لأن كل الأمور الأخرى تتبعها ، ولن أبحث عن البرهان من السماء . وإن قلت له إنه هو الذي خلق السماء ، والأرض ،

والبحر، فلن يقبل. وإن قلت له إنه أقام الموتى، وفتح عيون العميان، وأخرج شياطين، فلن يقبل هذا أيضاً. وإن قلت له إنه وَعَدَ بملكوت السموات، وخيرات لا حصر لها، وإن حدثته عن القيامة، فإنه ليس فقط لن يقبل، بل وسيسخر. إذاً كيف ستقوده للإيمان بأن المسيح هو الله، خاصةً إن كان عامياً وبسيطاً؟ ليس من موضع آخر، سوى تلك التي نقلها نحن، وهو، دون صعوبات أو إعتراضات، أي من تلك النصوص التي لا يمكن الشك فيها.

فلو أنني وضعت أمامه أنه خالق السموات، وكل الأكوان الأخرى كما قلت سابقاً، ما كان له أن يقتنع بسهولة. إذاً ما هي تلك العناصر التي يقبلها، والتي تقول إن المسيح هو خالق كل شيء، والتي تجعله لا يُبدي أي إعتراض؟ إن المسيح خلق الحياة الجديدة للمسيحيين المولودين بالروح. وبالطبع لن يرفض هذا، بمعنى أنه جمّع الكنائس في كل المسكونة (في الكنيسة الجامعة). إذاً الآن ومن خلال هذا، سُنُقدم الدليل والبرهان على قدرته وقوته، وسُنُثبت بأنه هو الله، وأنه من غير الممكن

لإنسان بسيط في هذا الوقت المحدود، أن يجوب كل المسكونة في البر، والبحر، وأن يجذب إليه إنساناً كثرين، كانوا مقيدين بعادات سيئة، بل بالأكثـر مملوءين بشرور كثيرة. ومع ذلك إستطاع أن يُحرر كل جنس البشر، ليس فقط الروم والفرس، بل وكل شعوب البرير بشكل عام. وقد حقّ كل هذا، دون أن يستخدم أسلحة، أو ينفق أموالاً، دون أن يكون له جيشاً، ولا شنّ حرباً، بل بأحدى عشر تلميذ فقط، مجاهلين، لا شأن لهم، جهـال، عـامـيـن، فـقـراءـ، مـتـجـرـدـيـنـ، بلا سلاح، بلا أحـذـيةـ، وـمـلـابـسـهـمـ بـالـيـةـ. ماـذـاـ أـقـولـ، مـنـ الـذـيـ يـمـكـنـهـ تـحـقـيقـ كـلـ هـذـاـ؟ لـقـدـ إـسـطـاعـ أـنـ يـقـنـعـ أـمـمـاـ كـثـيـرـةـ، بـأـنـ لـاـ يـنـحـصـرـ تـفـكـيرـهـمـ فـيـ هـذـهـ الـحـيـاـةـ الـحـاضـرـةـ فـقـطـ، بل فـيـ حـيـاـةـ الـدـهـرـ الـآـتـيـ، وـأـنـ يـبـطـلـ نـوـامـيـسـ مـوـرـوـثـةـ، وـأـنـ يـقـتـلـ عـادـاتـ قـدـيمـةـ منـ جـذـورـهـاـ، كـانـتـ رـاسـخـةـ لـسـنـوـاتـ عـدـيـدـةـ مضـتـ، وـأـنـ يـزـرعـ بـذـورـ حـيـاـةـ جـدـيـدةـ بدـلاـ مـنـهاـ، وـأـنـ يـعـلـمـ بـالـبـعـادـ عنـ الطـرـيقـ السـهـلـ، وـوـجـوـبـ السـلـوكـ فـيـ الطـرـيقـ الضـيقـ، وـأـنـ يـتـمـ كـلـ هـذـاـ، بـيـنـماـ الـجـمـيعـ قدـ حـارـبـوهـ وـقاـومـهـ، وـاحـتـمـ الـصـلـبـ الـمـهـينـ، وـالـمـوتـ الـمـخـزيـ.

وبالطبع لن يرفضوا أنه صُلب من قبل اليهود، وأنه عانى منهم شروراً لا حصر لها، وبالرغم من كل ذلك، فإن تعليمه يتقدم ويرتقي كل يوم.

والعجب أن هذا التعليم لم يزدهر هنا فقط، بل لدى الفرس أيضاً، وحتى اليوم لازالوا يحاربون تعليمه. الآن يوجد عدد كبير من الشهداء من الفرس، وأولئك الذين كانوا أكثر وحشية من الذئاب، قبلوا تعليم الإيمان، وصاروا أكثر وداعية من الحملان، وسعوا إلى خلاص نفوسهم.

وقد تحققت كل هذه الإنجازات، ليس فقط في المدن، بل وفي الصحراء، وفي القرى، وفي البلدان. وفي الجزر، وفي المراسي، وفي المواني. وليس فقط أناس بسطاء، أو قادة، بل أيضاً ملوك قد خضعوا بإيمان كبير للمصلوب.

نَسَأَلَ الْمَسِيحَ إِلَهَنَا أَنْ يَبْارِكَ فِي كَلْمَاتِ هَذَا الْكِتَابِ، لِنَمُو الْمُؤْمِنُينَ وَبَنْيَانَ الْكَنِيسَةِ بِشَفَاعَةِ وَالدَّةِ إِلَهِ الْعَذْرَاءِ الْقَدِيسَةِ مَرِيمَ، وَصَلَوَاتُ أَبِينَا الْمُعْظَمِ قَدَاسَةِ الْبَابَا تَوَاضْرُوسِ الثَّانِيِّ، وَلِإِلَهَنَا

الثالوث القدس الآب والإبن والروح القدس، كل  
مجد وكرامة إلى الأبد آمين.

نص هذه العظة موجود في بترولوجيا ميني  
.٨٣٨- ٨١٣ ص Tόμος 48

# الْمَسِيحُ هُوَ اللَّهُ

## رَئِيسُ السَّلَامِ

والآن سأحاول أن أبرهن على أنه ليس فقط أن كل هذا قد تم، بل وقد تم التنبؤ به منذ زمن بعيد. لكي لا يكون لديكم أي شك، حتى ولو كان بسيطاً، فإني أرى أنه من الضروري أن أستشهد بكتب اليهود الذين صلبوا المسيح، وهذا هي الشواهد من الأسفار المقدسة، والتي يحفظها هؤلاء بكل وقار حتى الآن، وأن أفحصها أمام أعين أولئك الذين لا يؤمنوا. فمن حيث أن الله صار إنساناً، بالرغم من أنه الله، فهذا ما يقوله إرميا النبي أولاً "هذا هو إلهنا الذي لا مثيل له وجد طريق الحكمة وأعطاه ليعقوب عبده لإسرائيل حبيبه. ثم تراءت على الأرض ومكثت بين البشر"٤. أرأيت كيف أنه بواسطة كلمات قليلة، قد أوضح كل هذا، وأنه بينما هو الله، صار إنساناً وخلط البشر وعاش بينهم، وأنه هو ذاته مُشرع العهد القديم؟ يقول "وجد

<sup>٤</sup> انظر باروك ٣٨٣٦:

طريق الحكمة وأعطهاه ليعقوب عبده واسرائيل حبيبه". هنا يُبيّن بأنه قبل حضوره في الجسد، كان يحكم ويُدبر كل شيء، أوجد نواميس، كان ينظر ويهتم بكل شيء، ويصنع إحسانات كثيرة. إسمع الآن كيف يتكلم النبي آخر، ويقول إنه ليس فقط سيصير إنساناً، بل إنه سيُولد من عذراء "هَا العَدْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ «عَمَّاْنُوئِيلَ»". وهذا الإسم معناه "الله معنا". وبعد ذلك، ولكي يبيّن بأن هذا الحدث (أن الله صار إنساناً)، ليس حدثاً خيالياً، بل حقيقياً، أضاف قائلاً: "لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير تُهجر الأرض"<sup>٦</sup>. وبالإضافة إلى أنه ليس فقط قد صار إنساناً، وانه ولد من عذراء، بل أيضاً أتى من نسل داود، إسمع كيف تنبأ إشعيا بذلك، مستخدماً صوراً رمزية، وكلمات مجازية، يقول: "ويخرج قضيبٌ منْ جَذْعِ يَسَىٰ، وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ، وَيَحْلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ". يسىٰ

<sup>٦</sup> إش ١٤:٧.  
<sup>٧</sup> إش ١٦:٧ (س).  
<sup>٨</sup> إش ١١:٣-٥.

هذا كان والد داود، إذاً فمن الواضح جداً أنه أتى من هذا النسل، من جزع يسىٌ، هذا ما تتبأ به، قائلاً: "ويخرج من جذع يسىٌ". بالطبع هو لا يتحدث عن غصن حقيقي، بل يقصد المسيح، ومملكته. ومن حيث أنه لا يتكلم عن غصن حقيقي، فهذا قد أظهره بقوله: "ويحل عليه روح الرب روح الحكمة". ولا يوجد أحد، حتى وإن كان غبياً يزعم بأن نعمة روح الله، ستحل فوق فرع شجر، بل الواضح كل الوضوح بأن الذي أتى إلى ذهن النبي، المسيح الذي بلا خطية، لذلك لم يقل "سيأتي روح الرب" بل "سيحل عليه روح الرب". لأنه عندما أتى، ظل هنا ولم يرحل، وهذا ما أعلنه يوحنا المعمدان، قائلاً: "رأيت الروح نازلاً مثل حماماً من السماء فاستقرَّ عليه".<sup>٨</sup> ولم يخف اليهود رأيهم بمجرد أنه ولد المسيح، فيقول القديس متى البشير "فلما سمع هيرودس الملك اضطربَ وَجَمِيعُ أُورُشَلَيمَ مَعْهُ".<sup>٩</sup> إسمع الآن كيف تتبأ إشعيا بذلك قائلاً: "مع كل ثوب ملطخ بالدماء أحرقتها مأكلة للنار. لأنه يولد لنا ولد ونعطي إبنا

<sup>٨</sup> يو ٣:٢٢.  
<sup>٩</sup> مت ٢:٣.

وتكون الرئاسة على كتفه. ويدعى إسمه مشيراً إلى  
 قديرًا أباً أبديًا رئيس السلام<sup>١٠</sup>. من الواضح إذاً،  
 حتى بالنسبة للناس الذين يرغبون بشدة في النزاع  
 والجدال، أنه لا يستطيع أحدًا أن يقول إن هذا  
 الكلام ينطبق على إنسان، طالما أنه لا يوجد أحد  
 بين البشر، قد دُعى إلى قديرًا، ولا رئيس السلام،  
 منذ أن خلق الله العالم. وأيضاً يقول: "لِنُمُّوْ رِيَاسَتِهِ،  
 وَلِسَلَامٍ لَا نِهَايَةَ"<sup>١١</sup>. طبيعة الأمور ذاتها، توضح  
 ذلك، أنه عبر كل الأرض، كل البحر، كل  
 مكان معمور، وكل مكان غير معمور، جبال،  
 ومنخفضات، ومرتفعات. ومن ذلك اليوم الذي قررَ  
 فيه أن يصعد إلى السماء، قال لـ تلاميذه "سَلَامًا  
 أَتُرُكُ لَكُمْ سَلَامٍ أُعْطِيَكُمْ لَيْسَ كَمَا يُعْطِي  
 الْعَالَمُ أُعْطِيَكُمْ أَنَا"<sup>١٢</sup>. لماذا تكلم المسيح هكذا؟  
 لأن سلام البشر، من السهل أن ينقضى ويتبدد،  
 وخاضع لتحولات كثيرة. أما سلام المسيح، فهو  
 سلام حقيقي وأكيد، غير متحول، راسخ، دائم،  
 وليس له نهاية، حتى وإن شُتّت حروب كثيرة من

<sup>١٠</sup> إيش ٩:٦-٥ (س).

<sup>١١</sup> إيش ٩:٧.

<sup>١٢</sup> يوح ١٤:٢٧.

كل جانب، أو تُصِّبَت لنا شراك لا حدود لها. لكن  
كلمته التي تُحْقِق كل شيء، تُحْقِق أيضًا هذا  
السلام.

### النعمة إنْسَكَبَتْ عَلَى شَفْتِيهِ:

ولم يتَبَأُوا فَقْطُ، بِأَنَّه سَيَصِير إِنْسَانًا، بَلْ تَبَأُوا  
أيًضاً بِطَرِيقَةِ حَضُورِهِ، لَأَنَّه أَرَادَ أَنْ يَنْزَلْ إِلَى أَرْضِنَا  
دُونْ إِبْهَارٍ، وَدُونْ أَنْ يَلْقَى صَوَاعِقَ مِنَ السَّمَاءِ، وَدُونْ  
أَنْ يُحَدِّثَ زَلَازَلَ عَلَى الْأَرْضِ، أَوْ يَرْجَ السَّمَاءَ، وَدُونْ  
أَنْ يُحَدِّثَ أَيْ مَفَاجِأَةً، بَلْ فِي هَدْوَهُ، وَدُونْ أَنْ يَعْرِفَ  
أَحَدٌ، وُلْدٌ فِي بَيْتِ حَقِيرٍ وَفَقِيرٍ. إِسْمَعْ مَاذَا قَالَ دَاؤِدُ  
النَّبِيُّ الَّذِي لَمْ يَصْمِتْ عَنْ ذَلِكَ أَيْضًا "يَنْزِلُ مِثْلَ  
الْمَطَرِ عَلَى الْجُرَازِ"<sup>١٣</sup>، مَوْضِحًا بِذَلِكَ سُكُونَهُ.  
وَهَدْوَهُ. وَلَيْسَ هَذَا فَقْطُ، بَلْ يَقْدِمُ وَدَاعِتَهُ،  
وَإِحْسَانَاتِهِ الَّتِي أَظْهَرَهَا لِلْبَشَرِ، إِنْتَهِي مَاذَا يَقُولُ نَبِيُّ  
آخَرُ، عِنْدَمَا أَهَانُوهُ، وَبَصَقُوا عَلَيْهِ، وَإِسْتَهْزَئُوا بِهِ،  
وَجَلَدوهُ، وَفِي النِّهايَةِ صَلَبوهُ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَدَافِعْ عَنْ  
نَفْسِهِ فِي مَوْاجِهَةِ مَنْ عَذَبُوهُ، بَلْ عَلَى العَكْسِ مِنْ  
ذَلِكَ فَقْدَ إِحْتَمَلَ كُلَّ هَذَا بَطْيَبَ نَفْسٍ وَوَدَاعَةً، أَيْ

<sup>١٣</sup> مز ٦:٧٢

الإهانات، والشروع، والغضب، وظلم أولئك الناس، وإفتراءهم عليه. كل هذا قد أوضحه، قائلاً: "قَصَبَةَ مَرْضُوضَةَ لَا يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةَ حَامِدَةَ لَا يُطْفِئُ." إلى الأمان يُخْرُجُ الْحَقُّ (للأمم)<sup>١٤</sup>. نبي آخر يشير إلى مكان ولادته، قائلاً: "أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَهْمَ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةَ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ الْلُّوفِ يَهُودًا، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الْأَزَلِ"<sup>١٥</sup>. هذا قد أظهر الطبيعة الإلهية، والطبيعة الإنسانية للمسيح، لأنه بقوله إن وجوده منذ الأزل، فهو يوضح وجود المسيح السابق على الأزمنة، أما عندما يقول "الذي يكون متسلاطاً على إسرائيل"، فإنه يوضح ولادته حسب الجسد. إنْتَهِي أيضاً لنبوة أخرى تشرق في هذا السياق، بمعنى أنه لم يقل فقط إنه سُيُولَدُ، بل ومكان ولادته سيكون معروفاً، حتى وإن كان زهيداً، وبسيطاً، وصغيراً "وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَهْمَ، أَرْضَ

<sup>١٤</sup> إش ٣:٤٢.  
<sup>١٥</sup> ميخ ٢:٥.

يَهُودًا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُودًا<sup>١٦</sup>، هكذا هو مكتوب بالنبي.

والآن المسكونة كافة، تركض لرؤيه بيت لحم، هناك حيث وضع، عندما ولد، وهم يذهبون إلى هناك لهذا السبب فقط. ونبي آخر يتباً عن الزمن أو العصر الذي سيظهر فيه على الأرض، إذ يقول: "لَا يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُودًا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلِيهِ حَتَّى يَأْتِي شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعٌ شُعُوبٍ. رَابِطًا بِالْكَرْمَةِ جَحْشَهُ، وَبِالْجَفْنَةِ ابْنَ أَتَانِهِ، غَسلَ بِالْخَمْرِ لِبَاسَهُ، وَبِدَمِ الْعِنْبِ ثُوَبَهُ. مُسَوِّدُ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الْخَمْرِ، وَمُبَيِّضُ الْأَسْنَانِ مِنَ اللَّبَنِ"<sup>١٧</sup>. لاحظ كيف تحققت هذه النبوة، لأنه ظهر آنذاك، عندما لم يكن هناك رؤساء لليهود، وكانوا تحت سلطة الرومان، وهكذا تمت النبوة التي تقول: "لا يزول الصولجان من يهودا ولا عصا السلطان من صلبه إلى أن يتبوأ في شيلوه"، ويقصد المسيح. وعندما ولد، صار أول إحساء للشعب في العصر الذي انتصر فيه الرومان على اليهود، وقادوهم تحت نير مملكتهم. وشيئاً

<sup>١٦</sup> مت ٦:٢

<sup>١٧</sup> تك ٤٩:١٠-١٢

آخر تعنيه هذه الكلمات: "وله يكون خضوع الأمم"، لأنه عندما آتى جذب إليه جميع الأمم. وفيما عدا ذلك، فإن هيرودس، أراد أن يقتل كل الأطفال الذين ولدوا هناك، طالباً المسيح المولود. أيضاً لم يصمت الأنبياء عن ذكر هذا، بل منذ سنوات بعيدة، تبأوا قائلين: "صَوْتٌ سُمِعَ فِي الرَّامَةِ، نُوحٌ، بُكَاءٌ مُرٌّ. رَاحِيلٌ تَبْكِي عَلَى أُولَادِهَا، وَتَأْبَى أَنْ تَشَعَّرَ عَنْ أُولَادِهَا لَأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ"<sup>١٨</sup>. ومن حيث أنه يأتي من مصر، هذا أيضاً تبأوا عنه: "وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي"<sup>١٩</sup>. وعندما آتى إلى أماكن معروفة، راغباً في أن يُجري معجزات في الحال، وأن يُعلم، فهذا أيضاً تبأوا به، إسمع ماذا يقول إشعيا النبي "أَرْضَ زَبُولُونَ وَأَرْضَ نَفْتَالِي... الشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلَالِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ". إنه يُعلن بهذه الكلمات، مجئه إلى الأرض، وإستارتهم بواسطة الآيات والمعجزات التي صنعها. بعد ذلك يصف معجزات أخرى ويوضح كيف أنه شفى عرجاً، وفتح

<sup>١٨</sup> إبر ٣١:١٥.  
<sup>١٩</sup> هوشع ١١:١.  
<sup>٢٠</sup> إش ٩:١-٢.

أعين العميان، وجعل الخرس يتكلمون، يقول:

"**حِينَئِذٍ يَقْفِرُ الْأَعْرَجُ كَالْأَيْلِ وَيَتَرَّمُ لِسَانُ الْأَخْرَسِ**"<sup>٢١</sup>، الأمر الذي لم يحدث قط، إلا حين أتى المسيح إلى أرضنا. وقد أوردوا بعض المعجزات على وجه الخصوص. فقد أتى ذات مرة إلى الهيكل. والأطفال التي كانت بعد ترضع، ولم يصلوا بعد إلى مرحلة التكلّم، سبحوا مع الشعب، بتسابيح مقدسة، قائلين "مُبَارَكٌ الَّتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! أَوْصَنَا فِي الْأَعْلَى!"<sup>٢٢</sup>. هذا عينه ما يتبعه النبي قديماً. قائلًا: "مِنْ أَفْوَاهِ الْأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ أَسْسَتَ حَمْدًا بِسَبَبِ أَضْدَادِكَ، لِتَسْكِيتِ عَدُوٍّ وَمُنْتَقِمٍ"<sup>٢٣</sup>. أرأيت كيف أن طبيعة الطفولة قد صارت وتجاوزت ذاتها، وكيف أن هذا العمر البريء، والذي لم يبلغ مرحلة الكلام بعد، أستطيع أن **يُمْجِدَّ** الخالق. أرأيت كيف قبلوا **الكرامة الرسولية؟**

وعندما كان يتكلّم مع اليهود، كثيراً ما تحدث عن الجنود، وعادةً ما كان يتكلّم بطريقة رمزية،

<sup>٢١</sup> إش. ٣٥:٦-٥.

<sup>٢٢</sup> مت. ٢١:٩.

<sup>٢٣</sup> مز. ٨:٢.

وبالغاز، وأمثال. وهذا أيضاً قد تم التبأ به: "فُتْحٌ  
 يَمِثِّلُ فَمِي. أَذِيعُ الْغَازًا مُنْذُ الْقِدْمِ"<sup>٢٤</sup>. بل وإظهار قدرته  
 الخطابية، قد تبأ بها المرنم، قائلاً: "إِنْسَكِبْتُ  
 النعمة على شفتيك"<sup>٢٥</sup>، أيضاً يقول النبي آخر: "هُوَذَا  
 عَبْدِي يَعْقِلُ، يَتَعَالَى وَيَرْتَقِي وَيَسْأَمِي جِدًا"<sup>٢٦</sup>.  
 ويحدثنا بما تحقق بهذا الحضور الإلهي والذي  
 صاحبته معجزات مختلفة، يقول النبي نفسه: "رُوحُ  
 السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لَأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لِأَبْشِرَ  
 الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لِأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ،  
 لِأَنَادِيَ لِلْمَسِنِيَّينَ بِالْعِتْقِ، وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ"<sup>٢٧</sup>. ثم  
 تبأوا أيضاً بأن اليهود سيفضبون ذاك الذي أحسن  
 إليهم جداً، بالرغم من أنهم لم يستطعوا أن يدينوه  
 بأي شيء، لا بشيء بسيط، ولا بشيء مهم. اسمع  
 داود النبي الذي تبأ بذلك، قائلاً: "أَنَا سَلَامٌ،  
 وَحِينَما أَتَكَلَّمُ فَهُمْ لِلْحَرْبِ"<sup>٢٨</sup>. مكتوب أنه دخل  
 المدينة (أورشليم)، راكباً على حمار، وهذا ما تنبأ  
 به زكريا آنذاك قائلاً: "إِبْتَهِجِي جِدًا يَا ابْنَةَ

<sup>٢٤</sup> مز ٢:٧٨.

<sup>٢٥</sup> مز ٤٥:٢.

<sup>٢٦</sup> إش ٥٢:١٣.

<sup>٢٧</sup> إش ٦١:١.

<sup>٢٨</sup> مز ١٢:٧.

صِهِيُونَ، اهْتِفي يَا بِنْتَ أُورُشَلَيمَ. هُوَدَا مَلِكُكِ يَأْتِي  
إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ  
وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ<sup>٢٩</sup>.

### لماذا ارتجت الأمم:

طرد باعة الحمام، وقلب موائد الصيارة، وفعل  
هذا بداع من محبته لهيكل الله، وفي نفس الوقت  
أظهر أن ما فعله ليس ضد إرادة الآب، بل وفق  
إرادته. لذلك فقد دافع عن الهيكل، لأن داخل  
الهيكل كانت تجرى مساوات خاصه بالبيع  
والشراء. ولا هذا أيضاً قد تركه الأنبياء بلا  
ملاحظة، لأن داود النبي سبق فتكلم عن هذا،  
وخاصة عن سبب إنفعاله، إذ يقول: "لَأَنَّ غَيْرَةَ بَيْتِكَ  
أَكَلَتِي"<sup>٣٠</sup>. وهل هناك ما هو أكثر سهولة للفهم من  
ذلك؟ لقد رتب يهودا أن يُسلم المسيح، الذي أكل  
معه على مائدة واحدة، فقد سبق وأعدَ للخيانة. إنتبه  
كيف تتبأ نفس النبي عن ذلك أيضاً، قائلاً: "رَجُلٌ  
سَلَامَتِي، الَّذِي وَثَقْتُ بِهِ، آكَلُ حُبْزِي، رَفَعَ عَلَيَّ

عَقْبَهُ<sup>٢١</sup>). لاحظ الآن كيف يتفق هذا الكلام مع ما قاله القديس متى البشير: "الَّذِي يَغْمِسُ يَدَهُ مَعِي فِي الصَّحْفَةِ هُوَ يُسْلَمُنِي!<sup>٢٢</sup>". والأمر هنا ليس فقط في إرتباطه بمن سلمه، بل ببيع هذا الدم الكريم، ونواول مكافأة مالية نظير ذلك. ولا هذا قد تجاهله النبي أيضًا، بل إنه أظهر الإتفاقات المخجلة، والكلمات التي تبادلوها فيما بينهم، إذ يقول "يَا إِلَهَ شَسِيْحِي لَا تَسْكُنْتُ، لَأَنَّهُ قَدْ افْتَحَ عَلَيَّ فَمُ الشَّرِّيرِ وَفَمُ الْفِشِّ"<sup>٢٣</sup>. هذا الخائن (يهودا)، قد ندم بعد أن فعل ما فعله، وألقى بالنقود، ثم وضع نهاية لحياته، وشنق نفسه وترك زوجته أرملة، وأبناءه أيتامًا، وبنته الكارثة، وبأي إسلوب يقصها: "لِيَكُنْ بَنُوهُ أَيْتَامًا وَأَمْرَأَتُهُ أَرْمَلَةً. لِيَتِهِ بَنُوهُ تَيَاهَانًا وَيَسْتَعْطُوا، وَيَلْتَمِسُوا حُبْرًا مِنْ خَرَبِهِمْ<sup>٢٤</sup>". وبعد أن حدث ذلك، أخذ مكانه واحد من الرسل وهو متياس. وهذا الحدث أيضًا قد أورده نفس النبي قائلاً: "وَوَظِيفَتُهُ لِيَأْخُذُهَا آخَرًا<sup>٢٥</sup>".

<sup>٢١</sup> مز ٩:٤١

<sup>٢٢</sup> مت ٢٣:٢٦

<sup>٢٣</sup> مز ٩:١٠

<sup>٢٤</sup> مز ٩:١٠-٩

<sup>٢٥</sup> مز ٩:٨

عندما سُلِّمَ المسيح، وتم القبض عليه بإرادته، وحددوا له محاكمة مشكلة من اليهود والأمم، بالمخالفة للقانون، فلتلاحظ كيف أن هذا قد سبق وأخبر به النبي أيضاً: "لِمَاذَا ارْتَجَتِ الْأُمُّ، وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ فِي الْبَاطِلِ؟"<sup>٣٦</sup>. ولم يتم التنبؤ بذلك فقط، بل وبصمه أيضاً، لأنه بينما ما قيل كان كثيراً، والإتهامات كثيرة، إلا أنه وقف بينهم صامتاً، وهذا ما قاله إشعيا النبي: "كَشَاءٌ تُسَاقُ إِلَى الدَّبَّحِ، وَكَنْعَجَةٌ صَامِتَةٌ أَمَامَ جَازِيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ".<sup>٣٧</sup> بعد ذلك، أظهر كيف أن هذا الحكم، كان ظالماً، فيقول: "مِنَ الضُّفَطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ".<sup>٣٨</sup> وهو بهذه الكلمات، أراد أن يقول: إن لا أحد قد حَكِمَ عليه بالعدل. بعد ذلك أشار إلى سبب موته، لكنه لم يُعَانِ ما عاناه، بسبب خطاياه، إذ كان بلا خطية وظاهراً، بل جاز كل هذه الآلام، من أجل حياة العالم. وهذا ما أشار إليه النبي، قائلاً: "لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ". هكذا أوضح

<sup>٣٦</sup> مز ١:٢.

<sup>٣٧</sup> إش ٧:٥٣.

<sup>٣٨</sup> إش ٨:٥٣.

<sup>٣٩</sup> إش ٩:٥٣.

لأجل من ذبح، بل أضاف سبباً آخر: "مَسْحُوقٌ لِأَجْلٍ<sup>٤٠</sup>  
 آئَانَا". ومن ناحية أخرى أراد أن يبيّن، ليس فقط  
 سبب الموت على الصليب، وهذا قد سبق وأخبر به،  
 قائلاً: "كُلُّنَا كَفَنَمْ ضَلَّنَا. مَلِّنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى  
 طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِنْتَمْ جَمِيعَنَا"<sup>٤١</sup>. ومن جهة أن  
 اليهود سُيَعَاقِبُوا لأجل شرورهم، فهذا قد أوضحته  
 بقوله: "وَجَعَلَ مَعَ الْأَشْرَارِ قَبْرَهُ، وَمَعَ غَنِّيًّا عِنْدَ  
 مَوْتِهِ"<sup>٤٢</sup>. أيضاً قال داود النبي: "لِنَقْطَعَ قُيُودَهُمَا" ثم  
 أضاف "السَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. الرَّبُّ  
 يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ. حِينَئِذٍ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِمْ بِغَضَبِهِ، وَيَرْجُفُهُمْ  
 بِغَيْظِهِ"<sup>٤٣</sup>. ويعني بذلك، تشتتهم في كل العالم. هذا  
 ما أعلنه المسيح له المجد في الأنجليل قائلاً: "أَمَّا  
 أَعْدَائِي، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ،  
 فَأَثْوَرُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَادْبَحُوهُمْ قُدَّامِي"<sup>٤٤</sup>. وعلى ذكر  
 الموت، فإنهم لم يصمتوا أيضاً عن الإشارة إلى طريقة  
 الموت، هذا ما ذكره داود النبي قائلاً: "تَقْبُوا يَدَيَ

٤٠ إش. ٥:٥٣.  
 ٤١ إش. ٦:٥٣.  
 ٤٢ إش. ٩:٥٣.  
 ٤٣ مز. ٤٣:٢.  
 ٤٤ لو. ٢٧:١٩.

وَرِجْلِيَّ أُحْصِي كُلَّ عِظَامِي<sup>٤٥</sup>. ولم يغب عنه، تلك المخالفات والتجاوزات التي فعلوها بعد الصلب، يقول: "يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْتُهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ"<sup>٤٦</sup>.

### العرش الملكي:

بعد ذلك أعلن عن دفنه، بقوله: "وَضَعَتِي فِي الجُبِّ الْأَسْفَلِ، فِي ظُلُمَاتٍ، فِي أَعْمَاقٍ"<sup>٤٧</sup>. ثم تحدث بعد ذلك عن قيامته: "لَا تَكَ لَنْ تَشْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ. لَنْ تَدْعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَادًا"<sup>٤٨</sup>. هذا ما قاله إشعيا أيضًا بإسلوب مختلف: "أَمَا الرَّبُّ فَشَاءَ أَنْ يُشْفِيَ مِنْ جَرَاحَاتِهِ وَيُرِيهِ النُّورَ وَيُجَازِي الْبَارِ الَّذِي بَرَرَ كَثِيرِينَ"<sup>٤٩</sup>. وقد أوضح أيضًا أنه مات لكي يحمل خطايا البشر، قائلاً: "وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ"<sup>٥٠</sup>. وأنه خلص البشر من الشياطين يقول: "وَمَعَ الْعَظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةٌ" وأنه حَقَّ كُلُّ هَذَا بِمُوتهِ، يقول: "مَنْ أَجْلَ أَنْهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ". ومن حيث أنه صار ملك المجد، فهذا قد أوضحه،

<sup>٤٥</sup> مز ١٦:٢٢-١٧.

<sup>٤٦</sup> مز ٢٢:١٨.

<sup>٤٧</sup> مز ٨٨:٦.

<sup>٤٨</sup> مز ١٦:١٠.

<sup>٤٩</sup> إش ٥٣:١٠ (بحسب المخطوط القديم).

<sup>٥٠</sup> إش ٥٣:١٢.

بقوله: " وَارْتَقِعْنَ أَيْتُهَا الْأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ  
 مَلِكُ الْمَجْدِ"<sup>٥١</sup>. وإشعيا أيضًا يقول: " أَكَسَّرُ  
 مَصْرَاعَيِ النُّحَاسِ، وَمَغَالِقَ الْحَدِيدِ أَفْصَفُ.  
 وَأَعْطِيكَ دَخَائِرَ الظُّلْمَةِ وَكُنُوزَ الْمَحَابَيِّ"<sup>٥٢</sup>. ويقصد  
 بهذا، الجحيم. بالطبع يمكن أن ينطبق هذا على  
 الجحيم، لكنه حفظ نفوس مقدسة، وأجساد  
 كريمة مثل إبراهيم، إسحق، ويعقوب. لذلك فقد  
 دعاهم، كنوزًا، ولكنه ذكر الظلمة هنا، لأن  
 شمس البر، لم يُنْرِه هناك، ولا عُلِّمَ عن القيامة. إسمع  
 ماذا قال داود النبي أيضًا، عندما قام من الأموات،  
 أنه لن يقف إلى جوار الملائكة أو رؤساء الملائكة،  
 ولا أي قوة روحية أخرى، بل يجلس على العرش  
 الملكي: " قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى  
 أَضْعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ»"<sup>٥٣</sup>.

### في كل الأرض خرج منطقهم:

بعد ذلك كان محدداً سلفاً، أن يُرسل رسلاً،  
 وهذا قد أعلنه إشعيا بقوله: "مَا أَجْمَلَ عَلَى الْجِبَالِ

<sup>٥١</sup> مز ٤:٧.

<sup>٥٢</sup> إش ٥:٤-٣.

<sup>٥٣</sup> مز ١٠:١.

قدَمَيِ الْمُبَشِّرِ، الْمُخْبِرِ بِالسَّلَامِ، الْمُبَشِّرِ بِالْخَيْرِ،  
الْمُخْبِرِ بِالْخَلَاصِ"<sup>٥٤</sup>. إنْتَهِي إِذَاً، أَيْ عَضُوٌ مِنْ أَعْضَاءِ  
الجَسَدِ يَمْتَدِحُ، إِنَّهُ يَمْتَدِحُ الْقَدْمَيْنِ الَّتِيْ حَمَلْتُهُمْ إِلَى  
كُلِّ مَكَانٍ. بَعْدَ ذَلِكَ يَشِيرُ دَاوُدُ النَّبِيُّ إِلَى الطَّرِيقَةِ  
الَّتِيْ احْفَظُوا بِهَا فِي بَشَارَتِهِمْ "الرَّبُّ يُعْطِي كَلِمَةً".  
الْمُبَشِّرَاتُ بِهَا جُنْدٌ كَثِيرٌ<sup>٥٥</sup>. لَأَنَّهُ مِنْ الْمُؤْكَدِ أَنَّهُمْ نَهَى  
يَسْتَخْدِمُوا أَسْلَحَةً، وَلَا أَنْفَقُوا أَمْوَالًا، وَلَا غَلَبُوا  
بِإِمْكَانِيَّاتِهِمْ وَقَدْرَاتِهِمْ الذَّاتِيَّةِ، وَلَا بَحْشُودَ مِنْ  
الْجُنُودِ، وَلَا بِأَيِّ أَمْرٍ أُخْرَى شَبِيهَهُ، بَلْ بِكَلِمَاتِ  
فَقْطَ، بِكَلَامٍ يَحْمِلُ قَوْةً كَبِيرَةً، وَقَدْ تَبَرَّهُنَّ ذَلِكَ  
بِالْمَعْجزَاتِ. هَذِهِ الْطَّرِيقَةُ الَّتِيْ سَادُوا بِهَا عَلَى كُلِّ  
الْمُسْكُونَةِ، كَارِزِينَ بِتَعْلِيمِ الْمَصْلُوبِ، وَقَدْ أَجْرَوُا  
الْمَعْجزَاتِ. وَالرَّبُّ سَيَعْطِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَبْشِرُونَ  
بِالْإِنْجِيلِ، كَلِمَةً وَقَوْةً عَظِيمَةً، وَيَعْنِي بِهَا، تَلْكَ  
الْمَعْجزَاتِ الَّتِيْ أَجْرَوُهَا. لَأَنَّهُ مِنْ الْمُؤْكَدِ أَنَّ هَذِهِ قَوْةً  
عَجِيبَةً، أَنَّ الصَّيَادَ، وَالْعَشَارَ، وَصَانِعَ الْخِيَامِ،  
يُقْيِيمُونَ الْأَمْوَاتَ، بِكَلِمَةٍ مِنْهُمْ وَيَخْرُجُونَ الشَّيَاطِينَ،  
وَيَقْيِيدُونَ أَلْسُنَةَ الْفَلَاسِفَةَ، وَيَسْدُوُنَ أَفْوَاهَ الْخُطَّابِاءَ،

<sup>٥٤</sup> إِشْ: ٥٢: ٧.  
<sup>٥٥</sup> مَزْ: ٦٨: ١١.

ويغلبوا على ملوك وقادة، وينتصروا على برب، وأمم كثيرة، وبالصواب تكلم النبي هكذا. لأن كل هذا قد حققه بالكلمة، وبقوة الكلمة، أعادوا الحياة إلى أموات، جعلوا الخطاة، أبراراً، فتحوا أعين عميان، شفوا أمراضاً جسدية ونفسية. من أين إذا آتتهم هذه القوة التي كانت لديهم؟ من الروح القدس. هكذا يذكر سفر الأعمال: "وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُّسِ"<sup>٥٦</sup>. وكان الجميع رجالاً ونساءً، يتباون بدون تمييز، لأنه قد ظهرت السنة من نار، واستقرت فوق كل واحد منهم. وهذا ما تنبأ به يوئيل النبي آنذاك، قائلاً: "أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَبَّأُ بِنُوكُمْ وَبَنَائِكُمْ، وَيَحْلِمُ شَيْوُخُكُمْ أَحْلَاماً، وَيَرَى شَبَابِكُمْ رُؤُي. وَعَلَى الْعِيْدِ أَيْضًا وَعَلَى الْإِمَاءِ أَسْكُبُ رُوحِي فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ... قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمِ الْمَخْوفُ".<sup>٥٧</sup> يتكلم عن هذا اليوم العظيم، ويقصد يوم حلول الروح القدس، وأيضاً اليوم المرتبط بنهاية العالم. نفس النبي سبق فأخبر بالخلاص الذي بالإيمان، أي

٥٦: ٢٤: ٤.  
 ٥٧: ٢٨: ٢؛ ٣١.

ولا هذا الخبر قد صمت عنه، يقول: "وَيَكُونُ أَنَّ  
كُلًّا مِنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَجُوَّ"<sup>٥٨</sup>.

إن الله سيرسل مبشرين إلى كل أرجاء العالم، ولن يستثنى أحد من سماع هذه البشرة. وبالطبع هذا قد نادى به الأنبياء منذ سنوات بعيدة، إسماع داود النبي الذي تبأ بذلك: "فِي كُلِّ الْأَرْضِ خَرَجَ مَنْطَقُهُمْ، وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ". فقد أراد أن يبيّن، أنهم بشرّوا بعد أن نالوا قوة وكانوا أكثر قوة من الملوك. وفي موضع آخر يقول نفس النبي: "تُقيِّمُهُمْ رُؤْسَاءٍ فِي كُلِّ الْأَرْضِ"<sup>٦٠</sup>. والأحداث ذاتها تبيّن أن القديسين بطرس وبولس، كانوا أكثر قوة من الملوك والرؤساء. لأن قوانين الملوك، قد بطلت حتى وهم على قيد الحياة، أما قوانين الصيادين فقد ترسّخت، حتى بعد أن إنقلوا من هذه الحياة، وبقيت ثابتة لا تتزعزع، على الرغم من محاولات الشياطين، والعادات الضاربة في القدم، والشروع والمعت، وتجارب أخرى لا حصر لها، والتي لم تنتقض هذه القوانين.

<sup>٥٨</sup> يوئيل ٢:٣٢.  
<sup>٥٩</sup> مز ٤:١٩.  
<sup>٦٠</sup> مز ٤٥:١٦.

وبعد ذلك أراد أن يوضح أن هؤلاء، بعدما أخذوا السلطان في أيديهم، فازوا بمحبة الجميع، لذلك أضاف: "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تَحْمِدُكَ الشُّعُوبُ إِلَى الدَّهْرِ وَالْأَبَدِ"٦١. أي سيشكرونك، ويكونوا مدينين لك بالإحسان، لأنك أعطيت لهم مثل هؤلاء القادة الروحيين. كما تبأ داود النبي أيضاً بأن كرازتهم ستصل إلى كل مكان، إذ يقول: "اسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الْأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ، وَأَقَاصِي الْأَرْضِ مُلْكًا لَكَ"٦٢. هذا عينه ما يقوله النبي آخر: "لَأَنَّ الْأَرْضَ تَمْتَلَئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطَّى الْمِيَاهُ الْبَحْرَ"٦٣. لاحظ كيف كانت الطاعة سهلة، ولم يعودوا يعلمون بعد كل واحد صاحبة وكل واحد أخيه قائلين: "اعْرِفُوا الرَّبَّ، لَأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ"٦٤. أيضاً تتباوا بثبات الكنيسة: "وَيَكُونُ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ظَابِتاً فِي رَأْسِ الْجِبَالِ، وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التَّلَالِ، وَتَجْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الْأُمَمِ"٦٥. وإنه لن تكون فقط ثابتة، وراسخة، وغير

<sup>٦١</sup> مز ٤٥:١٧.

<sup>٦٢</sup> مز ٢:٨.

<sup>٦٣</sup> إش ١١:٩.

<sup>٦٤</sup> إش ٣١:٣٤.

<sup>٦٥</sup> إش ٢:٢.

متزرعة، بل أيضاً ستشر السلام في أرجاء المسكونة، وستُبَطِّل في كل المدن، ديمقراطية الملوك، وستوجد مملكة واحدة فقط، تحوي الجميع، وسيتمتعون بسلام وفيه، وليس كما الآن. قدِيماً كان جميع الحرفيين والخطباء، يصطفوا للاعداد للحرب، لكن عندما آتى المسيح، انتهى كل هذا، وإنحصرت الحروب في أماكن محدودة. هذا ما أوضحه إشعيا النبي، قائلاً: "فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَّاً وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ". لا ترتفع أمة على أمةٍ سيفاً، ولا يتعلمون الحرب في ما بعد<sup>٦٦</sup>. بالطبع كان الجميع قبلًا، يعيشون على هذه الحرف، أما الآن فقد توارت (صناعة السيوف والمناجل) تماماً، ولكن إن وجد البعض يمارسون هذا الأمر، فهم قليلون، وغير متحدين، وليسوا كثيرين كما كان الوضع في البداية، حيث كانت الثورات كثيرة، وكانت تشتعل في كل أمة، بعد ذلك أخبروا عن تكوين الكنيسة، ومما تتشكل. لأنه من المؤكد أنه لا يوجد داخل الكنيسة أناس ودعاء، ولطفاء،

---

٦٦ إش٢:٤.

وأمناء، بل أيضاً متوحشين، وقساة، وسيكونوا مُلزمين أن يتالفوا فيما بينهم، كما لو كانوا ذئاباً، وأسوداً، وثيراناً، وفي النهاية يصير الجميع كنيسة واحدة، إسمع كيف يصف النبي تتوّع هذا القطيع، قائلاً: "فَيَسْكُنُ الذئبُ مَعَ الْخَرُوفِ"<sup>٦٧</sup>. مُظهراً بذلك مدى بساطة حياة الملوك. ومن حيث أن هذه الأمور لم يقصد بها الحيوانات المفترسة، وإنما فليقل لنا اليهودي، متى حدث شيء مثل هذا؟ لأنه بالطبع لا يمكن للذئب أن يرعى مع الخروف. وحتى لو استطاع أن يرعى، فماذا يستفيد البشر من وراء هذا الحدث؟ بالتأكيد هو يقصد سلوك البشر المتوحشين، أي السكيثيين، وأهل ثراكى، الزنوج، الهنود، والفرس أيضاً. ومن حيث أن هذه الأمم قد أقتيدت إلى الخضوع لنفس النير، فهذا ما أورده نبي آخر: "أَجْعَلِ الشَّعُوبَ شَفَاهَا طَاهِرَةً لِيَدْعُوا بِإِسْمِ الرَّبِّ وَيَعْبُدُوهُ بِقَلْبٍ وَاحِدٍ"<sup>٦٨</sup>. وليس فقط في أورشليم، بل في كل المسكونة. أي لن يُجبروا الناس

<sup>٦٧</sup> إش ١١:٦.  
<sup>٦٨</sup> صفينيا ٣:٩ (س).

على الذهاب إلى أورشليم، بل كل واحد يبقى في بيته، ويمكنه أن يتمم واجباته الدينية.

### إسمه عظيم بين الأمم:

وبالنسبة لتشتت اليهود، فهذا أيضًا ما قد تبأ به النبي قائلاً: "مَنْ فِيْكُمْ يُعْلِقُ الْبَابَ، بَلْ لَا تُوقِدُونَ عَلَى مَذْبَحِي مَجَانًا؟"<sup>٦٩</sup> ومن حيث أن البعض سيخدم الله ويسجد له، فهذا أيضًا قد أخبر به: "أَئَهُ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا اسْمِي عَظِيمٌ بَيْنَ الْأَمْمَ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ يُقَرَّبُ لِاسْمِي بَخُورٌ وَتَقْدِمَةٌ طَاهِرَةٌ". أرأيت كيف أظهر أهمية وأصلة العبادة؟ وكيف يكون التميّز والإختلاف؟ وأن المكان لا يحمل أهمية، ولا الروائح، والأبخرة، بل الطريقة المختلفة التي تتم بها العبادة؟ وكيف جذب الرسل كل هؤلاء؟ فذاك الذي تكلّم لغة واحدة فقط، وهي اليهودية، كيف أقنع السكيثي، والهندي، والتراسيكي أن يقبلوا الإيمان؟ هذا كان أمراً طبيعياً، بعدما أخذ موهبة التكلم بالألسنة، كعطية من الروح القدس، وهذا أيضاً ينطبق على

<sup>٦٩</sup> ملا 1:10.  
<sup>٧٠</sup> ملا 1:11.

الأمم. ومن حيث أن هذا الأمر، لم يجذب اليهود، إسمع كيف أوضح النبي هذا، قائلاً: "إِنَّهُ يُشَفَّةٌ لَكُنَاءَ وَبَلْسَانٍ آخَرَ يُكَلِّمُ هَذَا الشَّعْبَ... وَلَكِنْ لَمْ يَشَأُوا أَنْ يَسْمَعُوا"<sup>٧١</sup>. وهل هناك ما هو أكثر سهولة للفهم، بحيث يمكن للمرء أن يدركه؟ كان مكتوبًا أن اليهود لن يؤمنوا، وأن الأمميين سيُدعون، وهذا قد سبق وأخبر به أيضًا، إسمع إشعيا النبي الذي يذكر ذلك قائلاً: "أَصْغِيْتُ إِلَى الَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوْا. وُجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُوْنِي. قُلْتُ: هَأَنَّدَا، هَأَنَّدَا. لَأْمَةٌ لَمْ تُسَمِّ بِاسْمِي. بَسَطْتُ يَدِيَ طُولَ النَّهَارِ إِلَى شَعْبٍ مُتَمَرِّدٍ سَائِرٍ فِي طَرِيقٍ غَيْرِ صَالِحٍ وَرَاءَ أَفْكَارِهِ"<sup>٧٢</sup>. وفيه موضع آخر يقول: "نَمَا كَنْبَتَهُ أَمَامَهُ وَكَعْرَقَ فِي أَرْضِ قَاحِلَةٍ"<sup>٧٣</sup>، وفي آية أخرى يقول: "مَنْ صَدَقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنِ اسْتَعْلَمْتُ ذِرَاعَ الرَّبِّ؟"<sup>٧٤</sup>. لم يتكلم عن تعليمنا، فقد أراد أن يُبيّن هنا، أنهم لم يتكلموا عن آرائهم الخاصة حتى في أبسط الأمور، بل كرزوا بكل ما سمعوه من رب.

<sup>٧١</sup> إش: ١٢-١١: ٢٨.

<sup>٧٢</sup> إش: ٦٥: ٢-١.

<sup>٧٣</sup> إش: ٥٣: ٢ (س).

<sup>٧٤</sup> إش: ٥٣: ١.

ومن حيث أنه ينبغي علينا أن نفضل بالأكثر الأمور الخاصة بنا، على الغريبة عنا، وأن تصبح موضع تكريم وقيمة، فهذا ما أعلنه موسى النبي أيضاً قائلاً: "أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبًا، بِأُمَّةٍ غَيْرِ<sup>٧٥</sup> أُغِيرُهُمْ". ويعني بهذا بؤس وتعاسة الشعب سابقاً، بقوله: "بِمَا لَيْسَ شَعْبًا". لأنهم لم يُعتبروا شعباً أو أمة بسبب البؤس الكبير، والحمامة، والغباء. ولكن بسبب إيمانهم، حدث تغير كبير، ونالوا تقديرًا كبيراً وكراهة، أكثر من ذوي الكراهة والإستقامة. هذا التوجه أيضاً يمس اليهود، وبسببه سيصيروا أفضل، وهذا قد وضح من كلام النبي. لأنه لم يقل فقط، سأكرم أكثر، لكنه يعلن بالإضافة إلى ذلك، التحسن الذي كان يأمل أن يطأ عليهم بسبب غيرتهم يقول: "أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبًا"، أي سأعطي الكثير لللامم، حتى تغيروا وتغتاظوا، وهذا قد جعلهم بالحقيقة أفضل، لأن أولئك الذين رأوا البحر الأحمر وهو ينشق، والصخور ينبع منها ماء، والتغيرات التي حدثت في الطبيعة،

ومعجزات أخرى كثيرة، وهم الذين كانوا يُضخون باولادهم، وأقاموا الإحتفالات تكريماً للبعل، وشاركوا في الكثير من أعمال السحر، هؤلاء إذ قد جذبناهم، وقبلوا ما نؤمن به، مُفضلين إياه عن ما كانوا يؤمنون به، تأثروا بشدة، بسبب الغيرة، حتى أنهم صاروا أفضل، وما لم يستطعوا أن يحققوه، وهم يسمعون الأنبياء، وينظرون أمور تتجاوز الطبيعة، فهذا قد حقيقه، بسبب الغيرة منا. إدًا الآن لا أحد من هؤلاء يذبح أبناءه، ولا يركض نحو الأوثان، ولا يسجد لأي عجل<sup>٧٦</sup>.

إن قيمة وأهمية العذراوية، ليست موجودة في العهد القديم، حتى كمجرد كلمة، ولكن لاحظ كيف يتبع داود النبي بها، أنها ستشرق ببهاء في العهد الجديد، إذ يقول: "فِي إِثْرِهَا عَذَّارَى صَاحِبَاتِهَا. مُقدَّمَاتٌ إِلَيْكَ... يَدْخُلُنَ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ"<sup>٧٧</sup>. بل لم

---

<sup>٧٦</sup> يقصد العجل الذهبي الذي صنعه الشعب قديماً، عندما تأخر موسى النبي من النزول من على جبل سيناء، حيث كان قد صعد إلى هناك لتنقى الوصايا العشر. وعندما نزل حرقه، وفتته، وبعدما ألقى برمامده في الماء، سقى الشعب منه.

<sup>٧٧</sup> مز ٤٥: ١٤-١٥.

ينسى ولا حتى إسم هؤلاء المقدسين، وأعني  
الوكلاء: "وَأَجْعَلُ وُكَلَاءَكِ سَلَامًا وَوُلَّاتِكِ بِرًا".<sup>٧٨</sup>

### يأتي ولا يصمت:

مكتوب أنه سينزل على الأرض، ويطلب حساباً من جنس البشر، وليس فقط من الآخرين، بل ومن اليهود. وانتبه كيف أن هذا أيضاً قد تتبأ به، كل من داود وملاخي. أولاً يقول النبي: "ويجلس كمن يمحص الفضة والذهب وينقيهما".<sup>٧٩</sup> وهذه الكلمات تشبه ما قاله الرسول بولس: "لَآنَ الْيَوْمَ سَيَبْيَتُهُ لَآنُهُ بِنَارٍ يُسْتَعْلَنُ".<sup>٨٠</sup> وداود النبي أيضاً سبق فأخبر بالمجيء الثاني للرب، قائلاً: "يَأْتِي إِلَهُنَا وَلَا يَصْنُمُ".<sup>٨١</sup> لأن المجيء الأول كان للصفح والغفران، لكن المجيء الثاني لن يكون هكذا، بل سيكون مملوء رعدة، وخوف، بسبب حضور الملائكة الذين يسبقون مجيئه، وبسبب حضوره، الذي سيغطي كل شيء مثل البرق. "كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَيَظْهُرُ إِلَى الْمَغَارِبِ، هَكَذَا يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ

<sup>٧٨</sup> إش. ٦٠:١٧.

<sup>٧٩</sup> ملا ٣:٣ (س).

<sup>٨٠</sup> أكون. ٣:١٣.

<sup>٨١</sup> مز. ٥:٣.

الإِسَانِ".<sup>٨٢</sup> إنه يُظْهِرُ بِهَذَا. ما هو واضح كُلَّ  
 الوضوح، فقُطُّ هو يُعلَنُ عنْهُ. لَأَنَّهُ مجيئُهُ الثانِي، لَيْسَ  
 بِحَاجَةٍ لِأَنْ يُعلِنُوا عَنْهُ، فَهُوَ يُعلَنُ عَنْ ذَاتِهِ. وَهَذَا مَا  
 أَوْضَحَهُ دَاوِدُ النَّبِيُّ بِقَوْلِهِ: "يَأْتِي إِلَيْهَا وَلَا يَصُمُّ"  
 وَبَعْدَ ذَلِكَ يَصُفُ قَضَاءَ الدَّهْرِ الْآتِيِّ، قَائِلاً: "نَارٌ  
 قُدَّامَهُ تَأْكُلُ، وَحَوْلَهُ عَاصِفٌ جِدًا".<sup>٨٣</sup> يَذَكُرُ  
 الْعَقوَبَاتِ، لَكِنَّهُ يَذَكُرُ الْبَهَاءَ وَالْمَجْدَ أَيْضًا "يَدْعُونَ  
 السَّمَاوَاتِ مِنْ فَوْقُهُ، وَالْأَرْضَ إِلَى مُدَائِنِ شَعْبِهِ".<sup>٨٤</sup>  
 وَعِنْدَمَا يَتَحدَثُ هُنَا عَنِ الْأَرْضِ، يَقْصِدُ جَنْسَ الْبَشَرِ.  
 بَعْدَ ذَلِكَ يَشْمَلُ الْيَهُودَ مَعَ كُلِّ الْأَجْنَاسِ الْأُخْرَى،  
 لَأَنَّهُ بِالْتَّأكِيدِ يُكَلِّمُ هُؤُلَاءِ، فَيَضِيفُ: "اجْمَعُوا إِلَيَّ  
 أَثْقَيَائِيِّ، الْقَاطِعِينَ عَهْدِي عَلَى ذِبْيَحَةِ". وَتُخْبِرُ  
 السَّمَاوَاتِ بِعَدْلِهِ، لَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّيَانُ.<sup>٨٥</sup> سِيَّاْتِي  
 وَيُنْحِي تِلْكَ الْعِبَادَةَ جَانِبًا، حِيثُ كَانُوا يَقْدِمُونَ  
 الْذَّبَائِحَ، وَسِيَّسُونَهَا، لَكِي تَصْبِحَ عِبَادَتُنَا الْآنَ  
 مَقْبُولَةً. إِنْسَعْ كَيْفَ تَبَأْوُا بِذَلِكَ: "بِذِبْيَحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ  
 ثُرِّ... هِيَاتٌ لِي جَسْدًا".<sup>٨٦</sup> الْأَمْرُ الَّذِي قَالَهُ فِي مَوْضِعٍ

<sup>٨٢</sup> مت ٢٤:٢٧.

<sup>٨٣</sup> مز ٥٠:٣.

<sup>٨٤</sup> مز ٥٠:٤.

<sup>٨٥</sup> مز ٥٠:٥.

<sup>٨٦</sup> مز ٤٠:٦ (س).

آخر: " . شَعْبٌ لَمْ أَعْرِفْهُ يَتَعَبَّدُ لِي . مِنْ سَمَاعِ الْأَدْنِ<sup>٨٧</sup> يَسْمَعُونَ" . بهذه الكلمات أراد أن يقول، إنهم لم يؤمنوا، لأنهم راوا البحر وهو ينسق إلى أشرين، ولا الصخور وهي ينساب منها الماء، بل آمنوا بعدهما سمعوا رسول المسيح. وهنا أيضًا عندما يقول: "هيات لي جسدًا" ، يضيف قائلاً: " فقلت لها أنا آتٌ أما كتب علىَ في طيِّ الكتاب"<sup>٨٨</sup>. هنا هو يريد أن يقول أمرين:

١. أنه آتٌ.
٢. وأن هذا سيتحقق، عندما تبطل الذبائح.

الأمر الذي حدث عندما خضع اليهود للرومانيين ليس هذا فقط، بل إن باروخ تكلم عن مجيهه الثاني، قائلاً: " ثم تراءت على الأرض ومكثت بين البشر"<sup>٨٩</sup>. أيضًا قال موسى النبي: " أقيم لهمنبياً من وسط أخواتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون الإنسان الذي لا يسمع كلامي الذي يتكلم به بإسمي يستأصل

<sup>٨٧</sup> مز ١٨: ٤٤-٤٣.

<sup>٨٨</sup> مز ٤٠: ٨ (س).

<sup>٨٩</sup> باروخ ٣٨: ٣.

من هذا الشعب<sup>٩٠</sup>. أرأيت أن هذا لم يحدث لأي أحد، إلا للمسيح فقط؟ فمن المعروف أن كثيراً من الأنبياء قد جاءوا، ولم يسمع الشعب لواحد منهم، ومع ذلك لم يُعانون من أي شيء. إلا أنه منذ الوقت الذي رفضه فيه اليهود، تشتتوا في كل العالم، متشردين، مخدوعين، منفيين، ولاجئين. لاحظ إذاً أنهم بدلوا أوطانهم، وعاداتهم وتقاليدهم الموروثة، وقوانينهم، بالفسق، والخزي، والإدانة، والعقوبة. وكل ما إجتازوه من آلام في عصر فاسباسينوس، وتيتوس<sup>٩١</sup>، لا يمكننا الحديث عنه، لأن المأساة كانت آنذاك قد تجاوزت الكوارث كافية، وهكذا تحققت النبوة القائلة: "الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به بإسمي يستاصل من هذا الشعب". لذلك هلك أولئك الذين لم يسمعوا، لأنهم رفضوا أن يسمعوا لذلك النبي. ومن حيث أنه سيُقيمهم، فهذا ما أُخبر به إشعيا النبي قائلاً: "تحْيَا أَمْوَاتُكَ، تَقُومُ الْجُنُّثُ... لَأَنَّ طَلَّكَ طَلُّ أَعْشَابٍ"<sup>٩٢</sup>.

٩٠ تئ١٨: ١٩-١٨ (س).

<sup>٩١</sup> أباطرة رومان، وقد شنّ كلاهما حروباً مدمرة ضد اليهود. تيتوس هو ابن الإمبراطور فاسباباسينوس، وقد ولد سنة ٤٠ بعد الميلاد ومات ٨١ بعد الميلاد.  
<sup>٩٢</sup> ايش ٢:١٩.

## ويكون موته مجدًا:

ليس هذا فقط، بل بعد صلبه وموته، انتشر تعليمه في كل مكان. فبعدما أوثقوه، وخانة تلميذه (يهودا)، وبصقوا عليه، واستهزوا به، وجلدوه، في النهاية صلبوه، حتى ثيابه قسمها الجنود فيما بينهم. وحكموا عليه بأنه مستوجب الموت، ظنًا منهم أنه يريد أن يقيم مملكة مستبدة، كطاغية ومستبد.

"كُلُّ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَلِكًا يُقاومُ قَيْصَرًا".<sup>٩٣</sup> وأيضًا "قَدْ سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ".<sup>٩٤</sup> ولأنه كان يجب أن يحدث كل هذا، شجع السامع، وأعانه أن يتشدد ويتفوّى، - هكذا يقول - لا تخف بسبب كل ذلك. فإن ذاك الذي جلد، وصلب، وسخر منه اللصان اللذان صلباه معه، الذي حكموا عليه بموت مُخزي، قد تحولت الأمور بعد موته، وقيامته، تحولاً جذريًا، حتى أنه لا يستطيع أحد أن يُنكر أنه قد نال كرامة عظيمة، وهذا ما حدث بالفعل. هذا تحديدًا ما تتبأ به النبي آنذاك، قائلاً : "وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَصْلَ يَسَى الْقَائِمَ رَأْيَةً لِلنُّؤُوبِ، إِيَّاهُ تَطْلُبُ الْأُمُّ،

وَيَكُونُ مَحْلَهُ (موته) مَجْدًا<sup>٥٥</sup>. هذا النوع من الموت، هو أكثر قيمة وكرامة من التاج الملكي. لأن الملوك وهم يخلعون التاج، يأخذون الصليب، الذي هورمز وإشارة لموت المسيح. والصلب مطبوع على التوب الأرجواني، وعلى التاج، الصليب قائم في الصلوات، وفوق المائدة المقدسة، وفي كل المسكونة يشرق الصليب أكثر من إشراق نور الشمس، "ويكون موته مجدًا".

### اللعنة صارت كرامة:

إن الأمور الإنسانية ليست على هذا النحو، بل عادةً ما تكون العكس. فعندما يكون الناجحون على قيد الحياة، يكون كل شيء حولهم في حالة إزدهار، لكن عندما يموتوا، يتحطم كل شيء. وهذا لا ينطبق على الغني، والقائد فقط، بل يمكن للمرء أن يلاحظه على الملوك أنفسهم. لأن قوانينهم تبطل، وصورهم تُزعَ، وذكراهم ثمحي، وأسماءهم تُنسى، وخاصتهم تُحتقر. الذين رفعوا الأسلحة قبلًا كانوا قادرين بإشارة واحدة فقط، على تغيير

شعوب، ومدن، وسياسات، الذين قضاوا على رؤساء، كانوا قادرين على أن ينقذوا المحكوم عليهم بالموت. ولكن كل هذا قد أنهى إلى زوال، وإن كان قبلًا، يُسبّب بهجة وسعادة للبعض. ولكن مع المسيح، صارت الأمور عكس ذلك تماماً، بمعنى أنه قبل الصليب كان كل شيء مُحزنًا ومؤلمًا، يهودا خانه، بطرس أنكره، ولاحقوا الباقيين، كان وحده بين الأعداء، وكثيرون من الذين آمنوا، أنكروه. إلا أنه بعدما مات، كل الأمور تحولت إلى بهاء ومجد. ومسرة، وصارت لها أهمية عظيمة، لكي تعلم أن المصلوب لم يكن إنساناً عاديًّا. ومن كان الأول بين الرسل (ق. بطرس)، لم يتحمل تهديد الذين كانوا في دار رئيس الكهنة، بل وبعد هذا الإستجواب، قال إنني لا أعرفه. أما بعد الصليب فقد جاب أرجاء المسكونة، ومن ذلك الوقت إسْتَشْهِدَ عدد لا حصر له من الشهداء، مُفضلين الموت، على أن ينطقوا الكلمات التي قالها هامة الرسل (ق. بطرس)، الذي خاف من تهديد البوابة التي كانت تقف عند باب دار رئيس الكهنة. ومن ذلك الوقت، اعترفت بالمصلوب كل البلدان والمدن، والصحراء والمناطق الآهلة

بالسكان، وغير الأهلة. الجميع قد اعترف  
 بالمصلوب. بل وملوك، وقادة جيوش، ورؤساء ونبلاء  
 وولاه<sup>٩٦</sup>، عبيد، وأحرار، ومواطنون بسطاء،  
 وحكماء، وببرير، وأمم مختلفة من البشر، الكل  
 قد اعترف بالمصلوب وآمنوا به. وبقدر ما تُغطي  
 الشمس كل الأرض، بقدر ما إمتد إسمه، وعبادته  
 في كل الأرض، حتى تعلم ماذا يعني النبي بقوله:  
 "ويكون موته مجدًا". والأمر المثير للإعجاب، أن ما  
 حدث لم يحدث له وحده، بل للتلاميذه أيضًا، لأن  
 أولئك المتعبين، المتألمين، المحتقررين، المسجونين،  
 الذين عانوا من شرور لا حصر لها، من ذلك الوقت  
 الذي إنقلوا فيه، اعتبروا أكثر كرامة ومكانة،  
 من الملوك. وكيف حدث ذلك؟ إسمع الآن ما هو آتٍ:  
 كان الجميع في مدينة روما المشرقة البهية، سواء  
 ملوك، أم ولاة، أم قادة جيوش، يركضون نحو قبر  
 صياد السمك (ق. بطرس)، وصانع الخيام (ق. بولس)  
 غير مُبالين بأي أمور أخرى. وفي القدسية أيضًا  
 إعتبر الملوك بأن دفن أجسادهم، حتى في الجزء

<sup>٩٦</sup> الرؤساء والولاة، هم أعلى الرتب في روما القديمة في الحقبة الديمقراطية، من عام ٥٠-٩ قبل الميلاد، ومدة حكمهم كانت سنة واحدة، وكانوا يقسموا السلطة فيما بينهم.

الخارجي مقابر الرسل، وليس إلى جوارهم، هو تكريماً لهم، ومن ذلك الوقت صار الملوك بمثابة بوابين للرسل صيادي السمك، ولم يخجلوا من هذا، بل إفتخروا بهذا الأمر. وليس فقط هؤلاء الملوك، بل وخلفاءهم أيضاً، "ويكون موته مجدًا". وعندئذ ستردك كم هي عظيمة هذه الكراهة، عندما تفهم ما يشير إليه موت المسيح، الذي كان لعنة، الموت الأكثر خزيًّا من كل الميتات، لأن هذا النوع من الموت، هو الذي كان يمثل لعنة. كمثال أذكر لكم الآتي: كان بعض الأشرار في العصور القديمة يحرقون، والبعض يُرجمون، والبعض الآخر أنهوا حياتهم بطرق أخرى للموت، لكن كل من صلب معلقاً على خشبة، ليس فقط قد إحتمل هذا الأمر المفزع، أي الحكم بتلك العقوبة، بل كان ملعوناً. لأنه مكتوب "المُلْقَطُ مَلُوْنٌ مِّنَ اللَّهِ" <sup>٩٧</sup>. بيد أن هذا الذي دُعي ملعوناً، تلك اللعنة التي تعتبر أسوأ عقوبة، الآن قد صار محبوباً. لأنه بالتأكيد، حتى التاج الملكي لا يمكن أن يُزيّن الرأس، مثل الصليب،

والذي هو أكثر قيمة وتتويجاً من آية زينة أخرى. وشكل الصليب الذي كان يمثل رعباً للجميع، أصبح الآن يلقى كل�حترام وحب من الجميع، حتى أنه يوجد في كل مكان، لدى عذارى ومتزوجين، لدى عبيد وأحرار. ويرسمه كثيرون على الأعضاء الأساسية للجسد، فيرسمونه على جاهم، وعلى أيديهم. إن الصليب الذي يُشرق ببهاء فوق المائدة المقدسة، يُرافق أيضاً رسامة الكهنة، وهو أيضاً مع جسد المسيح في العشاء السري. ويستطيع المرء أن يرى الصليب وهو يطوف في كل مكان، في البيوت، وفي الأسواق، وفي البراري، وفي الطرق، وفي الجبال، في المنخفضات، وفي المرتفعات، في البحر، وفي السفن، وفي الجزر، وفي المخادع، وعلى الأسلحة، وعلى الموائد، على الأواني الفضية والذهبية، وعلى الحوائط المزخرفة بالرسومات، وعلى أجساد الذين يتأملون نفسياً، وعلى أجساد المعذبين بأرواح شريرة، وموجود في الحرب، وفي السلم، في النهار والليل، في أعمال وتصرفات المسرفين، وفي سلوك المتقشفين. هذه العطية العجيبة، والهبة التي لا تُوصف، صارت موضع رغبة

شديدة للغاية. ألا يخجل الإنسان عندما يُفكِّر بأن هذا الموت، هو رمز للموت المهين، بينما ما نراه هو العكس، فالجميع يتزينون بالصلب، أكثر من التيجان، ومن ملابس مُزينة بقطع كثيرة من الماس. هكذا فإنه ليس فقط لا نستطيع أن نتجنبه، بل إنه صار محبوبًا، ومرغوبًا فيه، ومشرقاً ببهاء في كل مكان، وهو موجود على حوائط البيوت، وأسقفها، وفي الكتب، وفي المدن، وفي القرى، وفي الأماكن الآهلة بالسكان، وغير الآهلة.

وبكل سرور أسأل كل وثني، لماذا يصبح رمز هذه العقوبة، المرتب بهذا الموت المهين، محبوبًا ومرغوبًا فيه من الجميع، إن لم تكن قوة المصلوب عظيمة؟ وإن كنت بعد تعتقد أن هذا الأمر لا يحمل أي قيمة، دون أن تخجل، ولا ترى الحقيقة، وتصير أعمى أمام الحقائق الواضحة كالنور، فعندئذ نثبت لك، مدى قيمة الصليب بطريقة أخرى، كم هي عظيمة هذه القيمة. ما هي هذه الطريقة؟ في الأحكام الصادرة ضد جناة، والتي يلجأون فيها إلى وسائل تعذيب كثيرة، جلد، تقليل أظافر، صب

رصاص، نزع الجلد، تكسير عظام. إذاً من من هؤلاء المعذبين سيرغب في أن يحضر أو ينقل إلى بيته شيئاً من أدوات التعذيب هذه؟ ومن سيقبل أن يلمس بيده الجنادين الذين يستخدموا هذه الأدوات، أو ان يذهب إلى مكان قريب لرؤيه موضع التعذيب؟ ألا ينصرف عنهم أكثر الناس، والبعض يعتبر إن هذه الأدوات، لا تستحق ولا حتى اللمس، ولا يحتملون مجرد رؤيتها؟ ألا يرحلون بعيداً عنها؟ ألا يبعدون عيونهم عنها؟ شيء مثل هذا، كان الصليب في عصور قديمة، بل ولاقي رفضاً وإمتعاضاً كبيراً، لأنه كما قلت قبلأً، لم يكن فقط رمزاً للموت، بل رمز لموت مهين. أخبرني إذاً، لماذا الآن قد صار مرغوباً فيه من الجميع بشكل فائق، والجميع يسعى نحوه؟ هذه الخشبة (خشبة الصليب) التي رُفعت لاستقبال جسد المسيح الذي صُلب عليها، لماذا صارت محبوبة من الجميع؟ وكثيرون قد أخذوا منه، قطعة صغيرة، وربطوه بذهب، وعلقوه في رقابهم ليتزينوا به، سواء رجال، أم نساء، على الرغم من أن الخشبة كانت رمزاً للإدانة والعقوبة. لكن هذا الذي خلق كل شيء، والذي خلص

المسكونة من كل هذه الشرور، قد صير الأرض سماءً، وهذا الصليب بينما كان مُحتقراً وأسوأ كل أنواع الميتات، قد سمي به، أعلى من السموات. كل هذا قد سبق وأخبر به النبي، قائلاً: " ويكون موته مجدًا".

لنأتوقف عن الكلام، بالنسبة لرمز هذا الموت (الصليب)، لقد صار إساساً عظيماً للبركة، وسور أمان من كل خطر، ولجاماً للشياطين، وتحجيم لقوة الأعداء. الصليب أبطل الموت، وسحق أبواب الجحيم النحاسية، وكسر المصاريع الحديدية. وأبطل قوة الخطية، وخلص المحكوم عليهم بموت الخطية. ماذا أقول؟ ما لم يستطع البحر الذي إنشق إلى قسمين أن يُحققَه، والصخور التي نبع منها ماء، والطبيعة التي تغيرت، والمن الذي كان يُطعم آلاف من البشر على مدى أربعين سنة كاملة، والناموس الموسوي، وكل المعجزات التي حدثت في الصحراء، وفي فلسطين، هذا كله قد حققه الصليب، وليس فقط في أمه واحدة، بل في أرجاء المسكونة. إن الصليب الذي كان رمزاً لللعنة، والذي كان يبتعد

عنه الجميع، المكرور من الكل، موضع الخزي والعار، إستطاع بعد موت المصلوب، أن يُحقق كل شيء بسهولة. ليس فقط تلك المعجزات التي حدثت آنذاك، بل كل ما حدث بعد ذلك، قد أظهر مدى قوته. لأن العالم الذي كان محروماً من الفضيلة، والذي كان أسوأ من الأرض الجدباء، والذي لم يُنتظر منه أبداً أن يُنجب شيئاً حسناً، قد تجلّى بالصليب وإنقل إلى فردوس لا نهاية له، وإلى أم كثيرة الأبناء. هذا قد سبق وأخبر به النبي، قائلاً: "تَرَئِمِي أَيَّهَا الْعَاقِرُ التِّي لَمْ تَلِدْ. أَشِيدِي بِالْتَّرَئِمِ أَيَّهَا التِّي لَمْ تَمْخَضْ، لَأَنَّ بَنِي الْمُسْتَوْحِشَةِ أَكْثُرٌ مِنْ بَنِي ذاتِ الْبَعْلِ"<sup>٩٨</sup>. ومن حيث أن الله قد أحسن إلى شعب وأعطاهم عهداً جديداً أفضل كثيراً من العهد السابق، فهذا أيضاً قد أشار إليه الأنبياء، ولم يصمتوا عنه، يقول النبي: " وَأَقْطَعْ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ...عَهْدًا جَدِيدًا. لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لِأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، حِينَ نَقْضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. بَلْ

هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول رب: أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم.<sup>٩٩</sup> . بعد ذلك يعلن عن التغيير الكبير، والتعليم السهل، فيقول: "ولَا يعلمونَ بَعْدَ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ أخاه، قاتلين: اعْرِفُوا الرَّبَّ، لَأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَفِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ".<sup>١٠٠</sup> بل إن النبي قد تباً بأنه سيصفح عن آثامهم، قاتلاً: "لَأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ، وَلَا أَذْكُرُ خَطِيئَتَهُمْ بَعْدَ". وهل هناك ما هو أكثروضوحاً من ذلك؟ فدعوة الشعوب، وسمو العهد الجديد، مقارنة بالقديم، وسهولة وقبول جموع البشر للإيمان، ومجد النعمة الإلهية الذي تلاد بالمعمودية، كل هذا قد أوضحته النبوات.

### أعطي سلطاناً ومجداً:

وذلك الذي حق كل هذا، سيكون هو الديان بعد ذلك، ولاحظ كيف تبا الأنبياء بذلك، فحتى هذا الأمر لم يغفلوا عنه، البعض رأوه بهذا الشكل الذي سيظهر به، وبعض الآخر، أخبروا عن مجده

<sup>٩٩</sup> إر ٣١:٣٣.  
<sup>١٠٠</sup> إر ٣١:٣٤.

بكلماته. فدانيال النبي بالرغم من وجوده وسط البابليين البربر، فقد رأى الرب نازلاً على سحابة، إسمع ماذا يقول "كُنْتُ أَرَى فِي رُؤْيَ اللَّيلِ وَإِذَا مَعَ سُحْبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِسْرَائِيلَ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الْأَيَّامِ، فَقَرَبُوهُ قُدَّامَهُ، فَأَعْطَيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأَمَمِ وَالْأَلْسِنَةِ"<sup>١٠١</sup>. ويصف يوم الدينونة قائلاً: "كنت أرى تُصب عروش فجلسشيخ طاعن في السن.. وعرشه لهيب نار وخدمه ألف ألف وتقف بين يديهRibiyat Ribiyat فجلس أهل القضاء وفتحت الأسفار"<sup>١٠٢</sup>. وليس هذا فقط، بل أوضح الكرامة التي سينالها الأبرار، قائلاً: "أَمَّا قَدِيسُو الْعَلِيِّ فِي أَخْدُونَ الْمَمْلَكَةِ وَيَمْتَلِكُونَ الْمَمْلَكَةَ إِلَى الأَبَدِ" وأيضاً "وَالْمَمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ وَعَظَمَةُ الْمَمْلَكَةِ... ثُعْطَى لِشَعْبِ قِدِيسِي الْعَلِيِّ"<sup>١٠٣</sup>. ويتبين ملاخي النبي بأن قضاة سيكونون من نار، قائلاً: "لَأَنَّهُ مِثْلُ نَارِ الْمُمْحَصِّ، وَمِثْلُ أَشْتَانِ الْقَصَّارِ"<sup>١٠٤</sup>. أرأيت كيف تتباً الأنبياء بكل ما

<sup>١٠١</sup> دا: ٧، ١٤-١٣: ٧.

<sup>١٠٢</sup> دا: ٧، ٩-١٠: (س).

<sup>١٠٣</sup> دا: ٧، ٢٧، ١٨: ٧.

<sup>١٠٤</sup> ملا: ٣، ٢: ٦.

سيحدث، وبمنتهى الدقة؟ كيف تتجراً إذاً، أن تبقى في عدم إيمانك، ودون أن تتحقق من كل شيء، بعد أن صار في متناول يدك كل هذه البراهين التي تثبت قوته، ونبوات قد قيلت منذ زمن بعيد، مادمت ترى أن الأحداث كلها، تتطابق مع النبوات. ومن حيث أن كل هذا ليس من وحي خيالنا، فهذا يشهد عليه أولئك الذين قبلوا هذه الأسفار المقدسة، ويحفظونها حتى الآن، بالرغم من أنهم أعداؤنا، وخلفاء صالبي المسيح. وقد يتساءل البعض وكيف لم يؤمنوا، على الرغم من أن هذه الكتب المقدسة بين أيديهم؛ بمنتهى البساطة، لأنه بالرغم من رؤيتهم للمعجزات التي صنعتها المسيح، إلا أنهم لم يؤمنوا. لكن هذه ليست خطية غير المؤمن، بل خطية الذين لا يروا في وضح النهار. إن هذا العالم، مثل الآلهة الموسيقية المتجانسة التي وُضِعَت في المنتصف، وتتساب منها الألحان، وتمجد الخالق. وبالرغم من كل ذلك، هناك بعض الناس، يقولون إن كل ما في الخليقة قد صار من تلقاء نفسه أو بالصدفة، والبعض الآخر يقول إن كل ما نراه، هو بلا بداية، وأخرون ينسبونخلق والعناية بال الخليقة إلى آلهة كثيرة، وأخرون

ينسبون الخلق إلى قوة خالقه وإلى حركة دوران النجوم. وبالتالي تأكيد هذا ليس خطأ الخالق، لأن النقد واللوم يُوجه إلى أولئك الذين يُعانون من أسوأ أنواع العلل، بينما كل هذه الأدوية، هي في متناول الجميع. مثل النفس، عندما تشعر بالسعادة، تفهم ما ينبغي فعله، دون أن تحتاج إلى مساعدة كبيرة، هكذا عندما تكون جادة. وبلا إحساس، فحتى وإن كان لديها قادة كثيرين، خاصةً وإن كانت أسيرة لشهواتها، ستبقى في عماها. وانتبه أن هذا الأمر يحدث في كل مكان، وليس فقط في هذه الحالة، بل وفي حالات أخرى. كم من الناس الذين لا يخضعون للنوايس يمكن أن يفتخروا، كيف عاشوا حياة مكرمة بالكامل. ولكن البعض أيضاً وإن كانوا قد عاشوا بهذه النوايس منذ حداثتهم، وحتى سن الشيخوخة، لم يتوقفوا عن مخالفتها. نفس الأمور قد حدثت آنذاك، بمعنى أن اليهود بالرغم من أنهم قد رأوا آيات وعجائب كثيرة، إلا أنهم لم يصيروا أفضل. على العكس من ذلك، فإن أهل نينوى بسماعهم لنداء واحد فقط، تغيروا، وتخلّصوا من الخطية. ويمكن التأكيد من ذلك، من

خلال رجال ليس فقط ذو شأن، بل ورجال بسطاء لا شأن لهم أيضًا. كم من التعليم سمع يهودا من معلمه، ومع ذلك صار خائناً! وأي نصيحة سمع اللص على الصليب، ومع هذا آمن بالرب وهو على الصليب، ومجد ملكته. ينبغي ألا تحكم على كل شيء، بناء على آراء الفاسدين، بل أن تحكم أو تميز أولئك الذين يُفكرون بالصواب أو بشكل صحيح، مستتدرين إلى الحقيقة. إن اليهود لم يؤمنوا، وآمن الوثنيون. ولم يصمت الأنبياء، فقد صرخ داود، قائلاً: "شعب لم أعرفه يتعبد لي الغرباء يتذللون لي ... ويخرجون من حضورهم مرتعدين"<sup>١٠٥</sup>. أيضًا يقول إشعيا النبي: "مَنْ صَدَقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنِ اسْتَعْلَمْتُ ذِرَاعَ الرَّبِّ؟"<sup>١٠٦</sup>. وفي موضع آخر يقول: "أَصْفَيْتُ إِلَى الَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا. وُجِدْتُ مِنِ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي"<sup>١٠٧</sup>. وعندما تجسد المسيح على الأرض، آمنت به إمرأة كنعانية، وأخرى سامرية، بينما الكهنة وقادة الشعب، حاربوه وتآمروا عليه، ومنعوا الآخرين أن يؤمنوا، والذين آمنوا، طردوهم من المجتمع. لا تتعجب من هذه الأمور

<sup>١٠٥</sup> مز ١٨:٤٤-٤٦ (س).

<sup>١٠٦</sup> إش ١:٥٣.

<sup>١٠٧</sup> إش ١:٦٥.

أبداً، لأن حياتنا مليئة بهذه النماذج، سواء في عصرنا هذا، أو في الأزمنة القديمة. بعد ذلك، إن لم يكن الجميع، فعلى الأقل الكثيرون من اليهود آنذاك، والآن قد آمنوا. بالطبع ليست هذه هي أول مرة يُسمع فيها هذا الكلام، وليس أمر غريب أن الجميع لم يؤمنوا. لأن هذا هو الجحود بعينه، هذا هو الفكر الغير المعقول والمخالف للصواب، هذه هي النفس الإنسانية التي أُسِرَت بالشهوات.

### **أبواب الجحيم لن تقوى عليها:**

وبعدما ذكرنا جميع النبوات التي نطق بها الأنبياء عن المسيح، والتي أخبروا بها منذ سنوات بعيدة، لنتقدم نحو تلك النبوات التي تحقت في المستقبل، عندما جال المسيح يصنع خيراً، وعاشر البشر، حتى تدرك من خلال هذا الجانب، مدى قوته. لأنه نزل على الأرض، وتألم من أجل خلاص كل البشر وغفران خططيائهم. ولاحظ ماذا يفعل: يُجري معجزات، ويُخبر ببعض الأمور التي ستحدث بعد سنوات، مُبينا لسامعيه في ذلك الوقت، من خلال كل ما تم، أن كل ما سيحدث بعد وقت

طويل، سيتحقق. وأيضاً أثبت لهم صحة كل ما تبأ به، وكيف سيتم هذا، من خلال تحقيق ما تبأ به، ومن خلال معجزاته التي أجرتها في ذلك الوقت. وهكذا فإنه بهذا الدليل المزدوج، ربح إيمانهم بملائكة السموات.

لأن النبوات الخاصة به، كانت مزدوجة، بمعنى أن بعض النبوات ستتحقق في هذه الحياة، والبعض الآخر سيتحقق بعد نهاية هذا العالم الحاضر، وكل نبوة تدعم الأخرى، وتساعدها على التأكيد بأنها ستتحقق فعلاً، أي أنها حقيقة. سأذكر لكم مثلاً، لأن عبارتي غير مفهومة، ولذلك سأحاول أن أجعلها سهلة الفهم. لقد تبع المسيح أشخاص عشر تلميذًا، أما بالنسبة للكنيسة، فليس فقط لم يفكر أحد في وجودها، بل ولا في إسمها، لأن المجمع آنذاك كان في حالة إزدهار. ولكن ماذا قال المسيح، وما الذي تبأ عنه وأخبر به، في الوقت الذي كانت فيه المسكونة جموعاً تقريباً، غارقة في الكفر والجحود؟ قال: "على هذه الصَّحْرَاءِ أَبْنِي كَنِيسَتِي،

وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقُوَّى عَلَيْهَا".<sup>١٠٨</sup> إفحص جيداً هذا القول كما تُريد، وسترى أن حقيقته ستكون مشرقة. لأنه من المؤكد أن ما يستحق الإعجاب، ليس فقط أنه أَسَسَها في كل المسكونة، بل أنه جعلها غالبة ومنتصرة، ولا يمكن أن تُفْهَر، رغم كل الضريات التي وجهها إليها مقاوموها. وعبارة: "أبواب الجحيم لن تقوى عليها"، تعني الأخطار التي تقود إلى الجحيم. أرأيت كم هي حقيقة، هذه النبوة؟ أرأيت النتيجة الحقيقية؟ هل رأيت كلمات مثل هذه تتحول إلى أعمال، وقوة لا تُفْهَر وتحقق كل شيء، دون صعوبات؟ إذاً لا تعبَر على هذه العبارة دون توقف: "أبني كننيستي"، لأنها بُنيت سريعاً في وقت وجيز، فلتجهد ذهنك، ولتشعر بمدى أهمية ذلك، أن الأرض الواسعة الشاسعة، الممتدة تحت الشمس، قد إمتلأت بالكنائس في فترة زمنية وجيزة للغاية، وأمم كثيرة آمنت بالمسيح، وقد غيرَ هو رؤى وأفكار شعوب بأكملها، وأبطل العادات القديمة، إقتلع عادات وتقالييد من جذورها، أوقف

---

.١٠٨ مت ١٦:١٨

طفيان المتع والشهوات، قضى على قوة الشر، ألغى مذابح وهياكل، وأوثانًا، وممارسات، وإحتفالات وثنية، والأبخرة الكريهة، بددها، وأقام المائدة المقدسة في كل مكان، في موطن الرومان، والفرس، وال斯基ثيين، والهند. ماذا أقول؟ فالأمر يتعدي المناطق الخاصة بنا، لأن أهل الجزر البريطانية، بالرغم من أنها خارج حدود البحر المتوسط، إذ هي في المحيط، شعروا بقوة الكلمات الإلهية، لأن هناك بالطبع، تأسست كنائس وموائد مقدسة. تلك الكلمات التي تكلم بها آنذاك، قد نمت في نفوس الجميع، وتتردد على السنة الكل. ولنقل إن كل الأرض قد تفرقت من أشواك الخطية التي كانت تملأها، وصارت حقلًا نقىًّا، واستقبلت بذور التقوى. ومن حيث أن لا أحد يُعرض، وأن السلام قد عَمَّ، فهذا أمر له أهمية، ويُوضح مدى إستعلان القوة الإلهية. وهكذا إستطاع أن يخلص كل المسكونة من العادات الشريرة التي سادت على الجميع سنوات طويلة، وأن يقودها إلى عادات أخرى. ولم يُحارب العادات القديمة فقط، بل وضبط الشهوات والمتع، وكلاهما (العادات القديمة

والشهوات، تسيطر وتسود على أصحابها). لأن ما ورثه البشر منذ سنوات طويلة من آبائهم، وأجدادهم، والأجداد البعيدين، والفلسفه، والخطباء، كل هذا الميراث، إقتعوا أن يتركوه، على الرغم من أنه كان أمراً غاية في الصعوبة أن يقبلوا عادة أو تقليداً جديداً، بل وتقليلياً له متطلبات صعبة، الأمر الذي يُعد أكثر ثقلاً عليهم. إذًا فقد أبعد الشهوات والمعت، وقادنا إلى الصوم، أزال شهور المال، وسما بالفقر، محى القبح والبذاءة، وحمل لنا الحكمة والهدوء، أوقف الغضب، وحلت الوداعة محله، وإنزع الحقد والحسد من النفوس، وحمل لنا النية الحسنة الطيبة، أبعدنا عن الطريق الواسع الرحب، وقادنا إلى الطريق الضيق والصعب. ولم يقد أناساً آخرين، عاشوا خارج هذا العالم، وبعيداً عن هذه العادات، بل قاد أولئك الذين فسدوا داخل كل هذه العادات والشهوات، الذين صاروا أكثر ليونة من الشمع، هؤلاء أمرهم أن يسلكوا الطريق الضيق المؤلم والصعب، وجعلهم مؤمنين. وكم عدد الذين أقنعهم أن يؤمنوا؟ ليس أشرين أو عشرة أو عشرين، أو مائة، بل الجميع تقريباً، كل الذين سكنوا تحت

الشمس. وما نوعية البشر وعدهم الذين أرسلهم، حتى يقتعوا بواسطتهم؟ إحدى عشر تلميذاً فقط، عديمي المعرفة، عاميين، لا مكانة لهم، فقراء، بلا وطن، بلا ثروة، بلا قوة جسدية ومجد ظاهر، بلا أصول نبيلة، ليست لديهم قوة الكلمة، ولا إمكانيات خطابية، ولا معارف متميزة، بل صيادي سمك، وصانعي خيام، ويتكلمون لغة مختلفة. وعلى الرغم من ذلك فإنهم لم يكونوا يتكلموا مع أولئك الذين كرزوا لهم، بلغتهم العبرية والتي كانت لغة غريبة، ومختلفة عن كل اللغات الأخرى، وقد أسر الكنيسة التي إمتدت من أطراف المسكونة إلى أطرافها الأخرى، بواسطة هؤلاء الناس.

وليس هذا فقط هو المثير للإعجاب، بل إن هؤلاء الناس البسطاء، الفقراء، الذين ليسوا ذي شأن، الجهلاء، والمزدرى بهم، المتكلمون بلغة غريبة، المحترقين، قد تعهدوا بتغيير المسكونة كافةً، وأخذوا وصية أن يقودوا الناس إلى أمور صعبة، إلا أنهم لم يحققوا كل هذا في مناخ مملوء بالسلام، بل إنهم واجهوا حرباً كثيرة قد شُنّت ضدهم، فقد

ذهبوا إلى كل دولة وكل مدينة. لكن ماذا أقول؟ وهل ذهبوا فقط إلى كل دولة، ومدينة؟ لقد شُنِّت حرب ضدهم في كل بيت، إلا أن تعليمهم إمتد، وكثيراً ما حدث أن إنفصل الإبن عن أبيه، والعرس عن حماتها، والأخ عن أخيه، والخدم عن سيده، والمواطن عن الرئيس، والزوج عن زوجته، والزوجة عن زوجها، والأب عن إبنه، لأن الجميع لم يؤمنوا معًا، وهذا قد أفرز مشاحنات يومية، وحروبًا مستمرة، أسفر عن وقوع كثير من القتلى، وهذا ما جعل الرسل موضع بغضة، كأعداء وخصوم حقيقين، والجميع قد طاردوهم ولاحقوهم، سواء كانوا ملوكًا أم رؤساء، أم مواطنين، أم أحراً، أم عبيداً، أم شعوبًا ومدنًا. والأسوأ من كل هذا، أنهم لم يلاحقون هؤلاء فقط، بل أيضًا المسيحيين المعدين الجدد، الذين علموهم الرسل مبادئ الإيمان المسيحي. وال الحرب كانت واحدة، فهي ذاتها ضد التلاميذ، ضد المعلمين، لأن الكرازة اعتبرت مضادة للأوامر الملكية، وللعادات، والتقاليد، والأعراف القديمة. لأن الرسل نصحوهم أن يتركوا عبادة الأوثان، وأن يحتقروا المذابح التي كان آباءهم

وأجدادهم يتبعدون عليها، وأن يهجروا التعاليم البغيضة، ويُسخرون من إحتفالاتهم، وأن يتحولوا عن ممارساتهم، الأمر الذي بدأ لهم مفزعًا للغاية، وأكثر رعبًا من أي شيء آخر، وأنهم سيُسخرون نفوسهم لأجلهم، أكثر منه قبول لكرامة الرسل، وأن يؤمنوا بإبن الله، ذاك الذي سُلِّمَ للمحاكمة، الذي بُصِّرَ عليه، وعانى آلامًا غير محدودة، الذي إحتمل موئلًا مهينًا، الذي قُبِّرَ وقام. والعجيب أن كل ما له علاقة بآلامه، كان معروفاً للجميع، أي الجلد، اللطم، الإهانات والشتائم، البصق على الوجه، الصليب، السخرية، القبر الذي أُعطيَ له كتقديمة. إلا أن كل ما له علاقة بالقيامة، لم يكن معروفاً على الإطلاق، لأنه عندما قام، ظهر للرسل فقط. لكنهم عندما كانوا يبشرون بالقيامة فقط، صاروا موضع تصديق، وهكذا أسسوا الكنيسة. كيف وبأي طريقة؟ بقوة ذاك الذي سبق وحدد كل هذه الأمور. لأن المسيح له المجد هو الذي أعدَ الطريق، وجعل الصعب سهلاً. بالطبع إن لم يكن هناك قوة إلهية قد رافقت الرسل في الكرامة، والتي حققت كل هذه النجاح، ما كان لهم أن يتحركوا،

ولَا كَانَتْ هُنَاكَ بِدَائِيَةً. وَكَيْفَ تَحْقِيقُ كُلَّ هَذَا؟  
بِبِسَاطَةٍ، إِنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، وَالَّذِي قَالَ  
لِيَكُنْ نُورٌ فَكَانَ نُورًا، وَالَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ  
بِكَلْمَتِهِ، هُوَ الَّذِي زَرَعَ كُلَّ هَذِهِ الْكَنَائِسِ (أَيِّ  
أَسْسِهَا). وَعِبَارَةٌ "أَبْنَى كَنِيسَيِّي"، تَعْنِي أَنَّ الْكَنِيسَةَ  
هِيَ التِّي سُتْحَقَّ كُلَّ شَيْءٍ، هَكَذَا هِيَ كَلْمَاتُ  
اللَّهِ، تُتَجَزِّ أَعْمَالًا تُسْتَحِقُّ الْإِعْجَابَ وَالْدَّهْشَةَ.  
كَذَلِكَ فَإِنَّهُ عِنْدَمَا قَالَ: "لِتُتَبَيِّنَ الْأَرْضُ عُشْبًا"<sup>١٠٩</sup>،  
عَلَى الْفُورِ أَصْبَحَ كُلَّ شَيْءٍ، فَرْدُوسًا، وَمَرْعِيًّا  
أَخْضَرًا، وَالْأَرْضُ الَّتِي تَلَقَّتِ الْأَمْرَ، تَزَيَّنَتِ بِنَبَاتَاتٍ لَا  
حَسْرَ لَهَا، هَكَذَا الآن يَقُولُ الْمَسِيحُ لِهِ الْمَجْدَ "أَبْنَى  
كَنِيسَيِّي"، وَقَدْ تَحَقَّقَ هَذَا عَلَى الْفُورِ. بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ  
قَدْ تَسْلَحَ ضَدَّهَا مُلُوكٌ، وَوَجَهَ جَنُودًا أَسْلَحَتْهُم  
نَحْوَهَا، وَثَارَ ضَدَّهَا شَعُوبٌ أَكْثَرٌ جَنُونًا مِنْ إِنْتَشَارِ  
النَّارِ الْمُحْرَقَةِ، وَقاومُوهَا خُطُبَاءُ، وَحُكَّمَاءُ،  
وَأَغْنِيَاءُ، وَمَوَاطِنُونَ بِسُطَاءٍ، وَرَؤْسَاءُ، الْجَمِيعُ قَامُوا  
عَلَيْهَا. لَكِنَّ كَلْمَةَ الْكَرازَةِ قَدْ وَصَلَتْ وَحَرَقتْ  
الْأَشْوَافَ (أَشْوَافَ الْخَطِيَّةِ وَالْخَدَاعِ)، بِأَكْثَرٍ إِنْدِفَاعًا

من إندفاع النار، إذ تنتقت الحقول، وبُذرت كلمات التعليم. وبينما ظل بعض المؤمنين في السجن، والبعض طردوا منفيين، والبعض الآخر فقدوا ثرواتهم، والبعض قُتل ودبّح، والبعض الآخر أُلقى بهم في النار، والبعض غرق في البحر، والبعض قد ناله كل أنواع الآلام، وأهينوا، وطردوا البعض الآخر كأعداء حقيقيين، إلا أنه قد إنضم إلى الكنيسة الكثيرون، وليس فقط لم يتراجعوا عن شهادتهم للمسيح، بل بكل رغبة داخلية، إنطلقوا لينقضوا على هذا الصيد الثمين. بهذه الطريقة. إصطادوا، ليس بالإجبار، ولا بالقهر، بل بيارادتهم، مُمتدين لأولئك الذين قادوهم إلى هذا الطريق. ناظرين إلى أنهار الدم التي جرت من أولئك الذين آمنوا، فقد صاروا أكثر تمسكاً بإيمانهم، بل وأكثر من الشجعان الجسورين. وليس فقط أكثر من التلاميذ، بل وأكثر من المعلمين. فالبعض منهم سُجن، والبعض الآخر نُفي، والبعض جُلد، والبعض الآخر عانى آلاماً لا حصر لها، وبالأكثر المتعلمين الذين صارت لهم مكانة وأهمية. يقول الرسول بولس: "وَأَكْثُرُ الإِخْوَةِ، وَهُمْ وَاثِقُونَ فِي الرَّبِّ

بوْثِقِي، يَجْتَرِئُونَ أَكْثَرَ عَلَى الْكَلْمَ بِالْكَلْمَةِ بِلَا  
 خَوْفٍ<sup>١١٠</sup>. وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ يَقُولُ: "فَإِنْكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ  
 صِرْتُمْ مُتَمَثِّلِينَ بِكَنَائِسِ اللَّهِ الَّتِي هِيَ فِي الْيَهُودِيَّةِ  
 فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لَأَنَّكُمْ تَأَلَّمُمْ أَسْمُمْ أَيْضًا مِنْ أَهْلِ  
 عَشِيرَتِكُمْ تِلْكَ الْآلَامَ عَيْنَهَا، كَمَا هُمْ أَيْضًا مِنْ  
 الْيَهُودِ، الَّذِينَ قَتَلُوا الرَّبَّ يَسُوعَ وَأَبْيَاءَهُمْ،  
 وَاضْطَهَدُونَا نَحْنُ. وَهُمْ غَيْرُ مُرْضِينَ لِلَّهِ وَأَضْدَادُ  
 لِجَمِيعِ النَّاسِ. يَمْنَعُونَا عَنْ أَنْ نُكَلِّمَ الْأُمَمَ لِكَيْ  
 يَخْلُصُوا"<sup>١١١</sup>. وَقَدْ كَتَبَ لِآخَرِينَ أَيْضًا، قَائِلاً:  
 "وَلَكِنْ تَذَكَّرُوا الْأَيَّامَ السَّالِفَةَ الَّتِي فِيهَا بَعْدَمَا أُنْرِتُمْ  
 صَبَرْتُمْ عَلَى مُجَاهَدَةِ الْآلَامِ كَثِيرَةً... عَالَمِينَ فِي  
 أَنْفُسِكُمْ أَنَّ لَكُمْ مَالًا أَفْضَلَ فِي السَّمَوَاتِ  
 وَبَاقِيًّا"<sup>١١٢</sup>. أَرَيْتَ هَذِهِ الْقُوَّةُ الْعَجِيبَةُ التِّي لِذَاكَ الَّذِي  
 حَقَّ كُلُّ هَذَا؟ وَلَيْسَ فَقْطُ لَمْ يَغْضِبُوا أَوْ يَتَضَايِقُوا،  
 وَلَيْسَ فَقْطُ لَمْ يَحْزُنُوا، وَقَدْ إِجْتَازُوا كُلُّ هَذَا الْآلَمِ،  
 بَلْ إِنَّهُمْ فَرَحُوا وَابْتَهَجُوا لِلْغَایِةِ. هَذَا مَا قَالَهُ الرَّسُولُ  
 بَوْلُسُ بِالإِشَارَةِ إِلَى هَذِهِ الْوُضُعَ، أَنَّهُمْ قَبْلُوا سَلْبَ  
 أَمْوَالِهِمْ بِفَرَحٍ. وَبِالنَّسَبَةِ لِلْمُعْلَمِينَ (الرَّسُولِ)، يَقُولُ

<sup>١١٠</sup> فِي ١:١٤.

<sup>١١١</sup> اسْ ٢:١٤-١٦.

<sup>١١٢</sup> عَبْ ١:٣٢-٣٤.

القديس لوقا في سفر أعمال الرسل، أنهم خرجوا فرحين، لأنهما حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل إسمه. ايضاً يقول الرسول بولس عن نفسه: "الآن أُفْرَحُ فِي آلَمِي لِأَجْلِكُمْ، وَأَكَمَلْتُ نَقَائِصَ شَدَائِدِ الْمَسِيحِ فِي جِسْمِي لِأَجْلِ جَسَدِهِ، الَّذِي هُوَ الْكَنِيسَةُ". لماذا تتحير إذاً، إن كان قد فرح في الآلام، وعندما كان ينسكب، ومستعداً للحظة الموت، ليس فقط قد فرح، بل أيضاً قد دعى تلاميذه أن يشاركونه هذا الفرح، الأمر الذي يُظهر نفس فرجه للغاية، وهكذا تكلم، قائلاً: "وَإِنْ كُنْتَ أَسْكِبِ.. أُسْرُ وَأَفْرَحُ مَعَكُمْ أَجْمَعِينَ"<sup>١١٣</sup>. أخبرني. ماذا حدث، حتى تمليء بكل هذا الفرح؟ يقول: "أَنَّ الْآنَ أَسْكَبْ سَكِيَّاً، وَوَقْتُ الْحِلَالِي قَدْ حَضَرَ"<sup>١١٤</sup>.

هكذا هؤلاء الرسل، قد بنوا الكنيسة في المسكونة كلها، بينما لا يقدر أحد أن يبني ولا حتى حائطاً واحد فقط، مستخدماً طوبياً وأسمنتاً للبناء، إن كان مطارداً وممنوعاً من البناء. أما الرسل فقد بنوا كنائس كثيرة جداً في أرجاء

<sup>١١٣</sup> في ٢: ١٨-١٧.  
<sup>١١٤</sup> تيمو٤: ٦.

المسكونة، بائغهم من أنهم قُتلوا، وسجناها، وإضهدوا وتم نفيهم. وجلدوا، وفقدوا ثرواتهم، وذبحوا، وحرقوا، وطربوا في البحر مع تلاميذهم. وقد بنوا هذه الكنائس ليس بحجارة، لكن بأنفس، وتعاليم، الأمر الذي يُعد أكثر صعوبة، من البناء بالأحجار. لأن بناء جدار بالأحجار لا يتساوى مع النجاح في تغيير نفس كانت أسيرة للشياطين طول هذه السنين، وأن تنتزعها من ذلك الجنون الذي كانت تحيا فيه، ثم تُعيدها مرة أخرى إلى حالة الهدوء والسكينة والتعقل. إلا أن الرسل تمكنا من تحقيق كل ذلك، وocabوا المسكونة عراة، حفاة، بملابس ممزقة. لأن تلك القوة التي تحدثت عنها كانت معيناً لهم "وفوق هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها". فلتحصي عدد الملوك الذين قاموا عليها في ذلك الوقت، كم عدد الذين إضطهدوها، إضطهاداً مخيفاً تجاوز كل الحدود، وفي أي حالة كانت الأوضاع في ذلك العصر، حين كان الإيمان جديداً بعد، ونفوس البشر رقيقة ووديعة!.

الملوك الوثنيون كانوا كالآتي:

إن أغسطس، وتيباريوس، وجایوس، ونيرون، وفاسباسيانوس، وتيتوس<sup>١١٥</sup>، وجميع الأباطرة الذين آتوا بعدهم، حتى عصر قسطنطين الكبير، قد حاربوا الكنيسة، البعض بشدة وقسوة، والبعض أقل، لكن الجميع قد حاربوا. وإن بدأ البعض من هؤلاء في حالة سكون وهدوء، إلا أنه مجرد أن يوصف الملك بالجحود، فهذا بحد ذاته، كان سبباً للحروب، لأن البعض ممن كانوا يُناافقونهم، كانوا سبباً في إثارة حرب ضد الكنيسة، راغبين في الحصول على رضائهم وعطفهم. ولكن جميع هذه الفخاخ، وكل هذا الهجوم، قد تمزّق على نحو أسهل، من تمزيق خيوط العنكبوت، وتبدّل بأكثر سرعة من الدخان الذي يتبدّل في الهواء، ومن الغبار الذي تُذريه الرياح. لأنهم من خلال كل تلك الوسائل التي يستخدموها، أفرزوا عدداً كبيراً من الشهداء، وسلموا تلك الكنوز الخالدة التي للكنيسة، الأعمدة والمنارات الحية، الذين صاروا سبباً لمنفعة

<sup>١١٥</sup> وهم جمِيعاً، كانوا أباطرة رومانيين.

عظيمة للأجيال اللاحقة، ليس فقط وهم أحياء، بل وبعد إنتقالهم أيضًا. أرأيت مدى دقة النبوة؟ "أبواب الجحيم لن تقوى عليها". وهكذا من خلال كل هذا، ينبغي أن تؤمن بحياة الدهر الآتي، وأن لا أحد من أولئك الذين إضطهدوها، قد بقي. رغم أن الكنيسة آنذاك، كانت قد تكونت من عدد قليل، ومع أن هذا الأمر قد بدأ شيئاً جديداً، والتعليم جديداً، عندما شُنِّتُ الحروب والمعارك من حولها، إلا أنهم لم يتغلبوا عليها، ولم يسودوا عليها. فبالأكثر جداً فقد سادت على المسكونة في كل مكان، في الجبال والمنحدرات، والمرتفعات. بل وفي البحار، وعلى كل الأمم الموجودة تحت الشمس، بينما الجحود أو عدم التقوى، قد بقى فقط في معابد وعلى مذابح وثنية قليلة، بل وأُبطلت إحتفالات، وممارسات، وأبخرة، ومحافل دنسة. إدًا كيف لهذا الأمر العظيم والمدهش، ورغم كل هذه العوائق، أن يصل إلى هذه النهاية، والنتيجة الهامة التي كشفت الحقيقة، إن لم يكن هذا محمولاً بقوة إلهية لا تُقهر، وهذه الحقيقة قد تنبأ عنها المسيح له المجد، وتحققت؟ لا يستطيع أحد أن ينكر هذه الحقيقة،

إلا إذا كان مجنوناً للغاية، وغير متزنًا، وبلا عقل تماماً. وليس فقط تلك النبوات، بل ونبوات أخرى، قد أعلنت عن قوته التي لا تُظهر. بالطبع هو قد تباً بأمور الدهر الآتي بدقة كبيرة، وهذا قد تحقق. ومن المستحيل أن لا يتحقق شيء مما قاله، لأنه من السهل أن تزول السماء والأرض، على أن يزول بعض من كلماته، أو يعتري نبواته أي كذب. لأنه هو ذاته، قبل أن تتحقق النبوات بعد، أعلن هذا تحديداً، هكذا تكلم بوضوح عن نبواته، قائلاً: "السماء والأرض تزولان ولكنَّ كلامي لا يزول" <sup>١١٦</sup>. وهذا صائب جداً، لأن هذه الكلمات، ليست كلمات عارضة، بل كلمات الله، التي خلقت كل الأشياء، إذ أن السماء والأرض، والبحر، والشمس، وجموع الملائكة، وكل القوات غير المرئية، قد خلقت بكلمته. وهذا ما أوضحه النبي بجلاء قائلاً: "لأنَّه أمرَ فَخْلِقَتْ، وَضَعَ لَهَا حَدًّا فَلَنْ تَتَعَدَّاه" <sup>١١٧</sup>. وهو يعني بذلك، كل الخليقة التي في السماء، والتي على الأرض، المادية والروحية، الجسدانية، وغير

<sup>١١٦</sup> مت ٢٤: ٢٥.  
<sup>١١٧</sup> مز ٤٨: ٥-٦.

الجسدانية. النبوة التي سبقت وأخبرت بتأسيس الكنيسة، أظهرت - كما سبق وقلت - عِظَمَ، ومقدار، وسمو حقيقته، وعنایته، وإحسانه، وإهتمامه.

لنسعين أو نسترشد بنبوة أخرى أكثر إشراقاً من نور الشمس، وأكثر وضوحاً من الأشعة، وهي موجودة أمام أعيننا جميعاً، وهي سارية لكل الأجيال اللاحقة، تماماً مثل النبوة السابقة، هكذا هي كل نبواته. لا تنتهي في فترة زمنية قصيرة، ولا تتحقق في جيل واحد، بل في كل عصر، تتحقق في من هم موجودين الآن، وفي الذين سيولدون، والذين سيأتون بعدهم، واللاحقون أيضاً عليهم، وحتى آخر الدهور، يحق لهم أن يعرفوا قوة الحقيقة، تماماً مثل السابقين. فمنذ اليوم الذي تأسست فيه الكنيسة، وحتى نهاية العالم، تقف راسخة مزدهرة، ومشركة، تنمو كل يوم وتكبر، مانحة قوة كبيرة ومعطية لكل من سيوجد في هذا العالم، وحتى مجيء المسيح الثاني، أن ينالوا الثمر من هذه الخيرات الكثيرة والعظيمة، ويتمتعوا بفائدة لا ثُوْصف.

وبالتأكيد الذين كانوا قبلنا، والذين كانوا قبلهم، قد أدركوا قوتها ناظرين من ناحية إلى أن كثيرين قد حاربوها، والأخطار، والإضطرابات، والقلق، والأمواج العاتية، والكوراث قد أحاطت بها، ومن ناحية أخرى رأوا أنها لم تفرق، ولم تُقْهِر. ولم تخضع، ولم تُمحَى أو تزول، بل إذ هرت وعَظُمت، ووقفت شامخة في سمو عظيم.

### خراب الهيكل:

أما عن النبوة التي أود الإشارة إليها الآن، فهي نبوة مشابهة تهدف إلى إظهار القوة، والحقيقة، فيما سبق وقيل. وما هذه النبوة؟ عندما دخل المسيح مرة إلى الهيكل اليهودي، وكان آنذاك في حالة إزدھار، وكان يلمع من كل جهة، بسبب الذهب الكثير، وجمال وعظمة المباني، وكان يحمل فخامة في فن التصميم، والمواد المستخدمة، وبينما فقد تلاميذه الرؤية، ماذا قال؟ قال: "أَمَا شَرَطْرُونَ جَمِيعَ هَذِهِ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَا يُشْرِكُ هُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لَا يُنْقَضُ!"<sup>١١٨</sup>. بهذه الكلمات، تبدأ عن خراب

الهيكل، فقد تهدم، وصار أنقاضاً، هذا هو الحال اليوم في أورشليم، وهكذا تحول ذلك البناء الضخم إلى أنقاض. أرأيت قوته العظيمة التي لا يُعبر عنها، إنه يخلق، ويُغنى الذين يحبونه، ويُخضع وبهلك كل الذين يُقاومونه. فمن المؤكد، أنه لم يوجد مثل هذا الهيكل في أي مكان، ولم يوجد ما هو أكثر شهرة منه، والذي كانت تقام فيه كل هذه الممارسات الدينية. لأن اليهود الذين سكنا في كل الأرض، كانوا يأتون آنذاك من أطراف المسكونة حاملين معهم عطايا، وتقديمات، وذبائح، وباقورات ثمار الأرض، وأشياء أخرى كثيرة، ويزينون الهيكل بكل الأشياء الثمينة التي في العالم. وكان اليهود المؤمنين يجتمعون هناك، وكان إسم الهيكل معروفاً، ومشهوراً، حتى أنه وصل إلى أقصى المسكونة. ولكن نبوة واحدة قالها للمسيح أزالت كل هذا، ودُرِيَ في الهواء كالغبار. إذ لم يكن مسموحاً لأي يهودي، بل ولا حتى من الكهنة، أن يدخل قدس الأقدس، فقط كان مسموحاً من اختيار رئيس كهنة، ومرة واحدة في العام، أن يدخل إلى الداخل بتيجان، وملابس كهنوتية أخرى، أما

الآن فيمكن للزنانيات، والزوانى، والكسالى أن يدخلوا، دون أن يمنعهم أحد. فتلك النبوة قد تحققت، وزال كل شيء من الهيكل، وبطل، وما بقي منه سوى ما يُظهر للمرء، أن في هذا المكان كان يوجد الهيكل.

إذاً لتفهم الآن كم من القوة كان لدى هؤلاء الذين بشروا بالمصلوب، أولئك الذين حققوا أموراً عظيمة، وإنصروا على أمم وملوك، كما إنصروا في كثير من الحروب في أماكن عدّة، دون أن يُسفك دم، ورفعوا رايات نصر جديدة وعجيبة ولا حصر لها، أما اليهود فلم يستطعوا أن يبنوا هيكلًا واحداً منذ ذلك الوقت وحتى اليوم، في اللحظة التي كان يوجد فيها كل هؤلاء الملوك الذين ساعدوهم، وكل هذه الجموع المنتشرة في كل المسكونة، والذين خصصوا أموالاً طائلة لهذا الهدف. أرأيت كيف أن ما بناه لم يستطع أحد أن يهدمه، وأن ما هدمه، لم يستطع أحد أن يبنيه؟ لقد أسس الكنيسة، ولم يستطع أحد أن يهدمها. هدم الهيكل، ولم يستطع أحد أن يعيد بناءه، وكل هذا

قد حدث في فترة زمنية طويلة. بالطبع لم تنجح جميع محاولات الكثيرين لهدم الكنيسة، وفي المقابل، كل من كان لديهم رغبة في إعادة بناء الهيكل، لم ينجحوا.

لقد سمح لهم بأن يحاولوا، وذلك حتى لا يقول أحد، بأنهم لو بدأوا، لاستطاعوا أن ينجحوا. ها هم قد حاولوا، ولم يستطعوا أن يحققوا شيئاً. فمن المعروف في جيلنا، أن هذا الملك الذي تجاوز حدود الجحود، وإصدار الأوامر، قد منح اليهود آنذاك مساعدات للبناء، وقد بدأوا العمل، ولكنهم لم يقدروا أن يستمرروا ولو قليلاً. ومن جهة أنهم أرادوا، فهذا واضح من حيث أن الأساسات حتى اليوم، عارية، لكي يثبتوا أنهم حاولوا أن يؤسسوا، ولكن لم يستطيعوا أن يعيدوا البناء، لأن قرار الرب كان عكس ذلك، على الرغم من أن هذا الهيكل، الذي هدم آنذاك، عندما عادوا من السبي، بعد سبعين سنة، أعادوا بناءه على الفور، وصار أكثر إشراقاً من الهيكل السابق، وهذا قد سبق الأنبياء وأخبروا به، حتى قبل أن يحدث. الآن وقد مرّ أربعمئة عام،

لا يوجد تفكير، ولا أمل، ولا أي رجاء، في عودة هذا الهيكل مرة أخرى. وما يمنع تحقيق هذا، ليس شيء آخر، سوى قوة إلهية، تقف دون إنجاز هذا الأمر. هل لأنهم ليس لديهم ما يكفي من الأموال؟  
ألا يمتلك رئيس اليهود كنوزاً هائلة، تلك التي يجمعها من الضرائب من كل مكان؟ أليست هذه الأمة مندفعه، ولا تخجل، ومحبة للنزاع، ووقة، ومحبة للحرب؟ ألم يوجد كثيرين منهم في فلسطين، وفي فينيقيا، وفي كل مكان؟ إذاً كيف لم يستطعوا أن يعيدوا بناء هيكل واحد، بينما يروا عبادتهم وقد صارت محصورة ومحدودة من كل جهة، وعادات اليهود قد زالت، وأن التقدمات، والذبائح، وكل العادات الأخرى، قد بطلت وتوقفت؟ لماذا لم يُسمح لهم أن يقيموا ولا حتى مذبحاً، ولا أن يقدموا ذبيحة، ولا أن يقيموا إحتفالاً، ولا أن يرفعوا بخوراً، ولا أن يقرأوا الناموس، ولا أي شيء آخر مشابه، سوى الصلاة خارج الأسوار.

وعندما كانوا في السبي في بابل، أجبرهم أعداؤهم على أن يُرِنموا، لم يخضعوا، ولم يُطِعوا، على الرغم من أنهم كانوا أسرى وعبيد لدى آخرين، وثبتوا على موقفهم. وعندما فقدوا وطنهم، وحريتهم، بل وحياتهم ذاتها تعرّضت للخطر، خاصة وقد أمسك بهم كما في فخاخ، ووقعوا في أيدي أعدائهم، عندما أمروا أن يرِنموا بالآلات الموسيقية، كانت ترانيتهم هكذا: "عَلَى أَنْهَارِ بَابِلِ هُنَاكَ جَلَسْنَا، بَكَيْنَا أَيْضًا عِنْدَمَا تَذَكَّرْنَا صِهِيُونَ. عَلَى الصَّفَصَافِ فِي وَسْطِهَا عَلَقْنَا أَعْوَادَنَا. لَأَنَّهُ هُنَاكَ سَأَلَنَا الَّذِينَ سَبَوْنَا كَلَامَ تَرْنِيمَةٍ، وَمُعَذَّبُونَا سَأَلُونَا فَرَحًا قَائِلِينَ: «رَئِمُوا لَنَا مِنْ تَرْنِيمَاتِ صِهِيُونَ». كَيْفَ تَرِمُ تَرْنِيمَةَ الرَّبِّ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ؟<sup>١١٩</sup> وآلاتهم كانت معهم، لأنهم يقولون: "عَلَى الصَّفَصَافِ فِي وَسْطِهَا عَلَقْنَا أَعْوَادَنَا". كما أنه لم يُسمح لهم حتى بالصوم، الأمر الذي قاله النبي: "هَذِهِ السَّبْعِينَ سَنَةً، فَهَلْ صُمِّثْ صَوْمًا لِي أَنَا؟"<sup>١٢٠</sup> إسمع الآن، كيف أنه لم يُسمح لهم أن يقدموا ذبيحة، ولا بخوراً، ولا

<sup>١١٩</sup> مز ١٣٧: ٤-٥.  
<sup>١٢٠</sup> زك ٥: ٧.

شرابةً، هكذا تكلموا الفتية الثلاث، الذين قالوا:  
 لا رئيس لنا ولانبي ولا قائد ولا محرقة ولا ذبيحة  
 ولا تقدمة ولا بخور ولا موضع لنا لنقرب البواكيير  
 أمامك لننال رضاك<sup>١٢١</sup>. لم يقل النبي إنه لا يوجد  
 كهنة، بل قال هذا، حتى تفهم أن هذا الأمر يعتمد  
 على المكان، وأن الناموس كله كان مرتبًا بذلك  
 المكان بشكل وثيق، لذلك قال: "لا موضع تـ". إذ  
 لم يكن مسموحًا لهم حتى أن يقرأوا الناموس في  
 أرض غريبة. وهذا ما أدانهم به النبي آخر، قائلاً:  
 "ونادوا بتقدمات وأذيعوها"<sup>١٢٢</sup> فلا عبر، ولا عنصره،  
 ولا مظال، ولا أي شيء آخر من تلك الأمور، لكي  
 يحتفلوا. لكنهم كانوا يعرفون أن كل هذه الأمور،  
 قد تعطلت وتوقفت بخراب أورشليم، وإن شرعوا في  
 عمل شيء، كانوا مخالفين للقانون، وسيعاقبون،  
 ولم يستطعوا أن يعيدوا بناء المدينة، والتي فيها،  
 كان يحق لهم وفقاً للناموس، أن يمارسوا كل هذه  
 العبادة. لأن قوة المسيح التي أقامت الكنيسة، هي  
 نفسها التي هدمت المدينة. وهذا ما تتبأ به النبي، أي

<sup>١٢١</sup> دا ٣:٣٨ (س).  
<sup>١٢٢</sup> عاء: ٥ (س).

تتبأ عن مجيء المسيح، وأنه سيحقق كل هذا بالرغم من أنه سيأتي بعد السبي. إسمع ماذا يقول: "مَنْ فِيْكُمْ يُغْلِقُ الْبَابَ، بَلْ لَا تُوقِدُونَ عَلَى مَذْبَحِي مَجَانًا؟ لَيْسَتْ لِي مَسْرَةٌ بِكُمْ، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، وَلَا أَقْبُلُ تَقْدِمَةً مِنْ يَدِكُمْ. لَأَنَّهُ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا اسْمِي عَظِيمٌ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ يُقَرَّبُ لِاسْمِي بَخُورٌ وَتَقْدِمَةً طَاهِرَةً"<sup>١٢٣</sup>. أرأيت بأي طريقة قد أنهى الديانة اليهودية، وجعل المسيحية أكثر بهاءً، وأوسع إنتشاراً في كل الأرض؟ وطريقة العبادة، قد أظهرها بني آخر، قائلاً: "لِي دُعَا بِإِسْمِ الرَّبِّ وَيَعْبُدُوهُ بِقَلْبٍ وَاحِدٍ"<sup>١٢٤</sup>. ونبي آخر يقول: "سَقَطَتْ عَذْرَاءُ إِسْرَائِيلَ. لَا تَعُودُ تَقُومُ"<sup>١٢٥</sup>. وقد روى دانيال كل هذا بوضوح، أي أن الذبائح ستبطل، وستتوقف الإحتفالات، والمسحة بالدهن"<sup>١٢٦</sup>.

### الآيات والعجبات:

لنتابع هدفاً مُصححين الروى الحادة التي للأمميين الحمقى. فأنا لم أحدثك عن موتي قد

<sup>١٢٣</sup> ملا ١: ١٠-١١.

<sup>١٢٤</sup> صفتيا ٩: ٣ (س)

<sup>١٢٥</sup> عا ٢: ٥

<sup>١٢٦</sup> المسحة التي كان يُدْهَنُ بها الملوك، ورؤساء الكهنة.

قاموا، ولا مرضى ج Zam قد شُفِّيوا، حتى لا تتهمنا بالكذب، والزهو، والأساطير، وتقول منَ رأى هذه المعجزات؟ ومنَ سمع بها؟ ولكن أولئك الذين قالوا إنه صُلْبَ، وأنه تلقى الضربات والجلد، هم الذين قالوا ذلك. إذاً كيف تعتقد أن هؤلاء الأنبياء هم موضع ثقة وتصديق في تلك النبوات، ثم تُعبّر عن رأيك بأن ما قيل من قبل، لم يحدث؟ فإن كانوا قد كتبوا عن المعلم مفتخرین، لكن بلا هدف، وبلا فائدة، لكانوا قد أشاروا فقط إلى الأمور المحزنة، وتلك التي تبدو للعُتُقُلِين أنها مُهينة. ولكنهم الآن يُظهرون الحقيقة تجاه كل هذه الأمور، فقد إنشغلوا بالأكثـر بالتفاصيل التي تخص حياة المسيح. وتأسـيس الكنيسة، ووصفوها بدقة، دون أن يغفلوا أي شيء، سواء كان بسيطـاً، أو مهمـاً. وبالعكس أغفلوا أكثر الآيات والعجائب، بينما جمـيعهم، قد وصفوا الآلام، وأصرـوا على البقاء في وصف هذه الآلام بشكل أساسـي. لكن على الرغم من أنـي لم أحـدثك عن شيء من هذه العجائب والمعجزات، فأنا أريد أن أتكلـم عنها، حتى أوقف كل حديث مُخـزي، فالآحداث الآنية، تلك التي تـوـجـد أمام

أعيننا، هذه التي هي أوضح من الشمس، ومنتشرة في كل المسكونة، والتي فاقت الطبيعة الإنسانية، والتي تتنسب لله فقط، هذه هي التي عرضتها وقدمتها. ماذا تقول ألم يُقْمِمْ أمواطًا؟ وهل تريد أن تقول لنا بعد، أنه لا توجد كنائس في كل المسكونة؟ ولم ينزل المؤمنين إضطهاد في هذه الكنائس؟ ولا أنهم عاشوا وملكوا على كل شيء؟ ولكن إن كثيًّا لا نستطيع أن نقول إن الشمس غير موجودة، هكذا لا نستطيع أن نقول شيئاً مثل هذا. ألم ترى خراب الهيكل اليهودي، الذي كان عامراً أمام أعين المسكونة كافة؟ لماذا لا تتعقل؟ فإن لم يكن هناك إلهًا، بل وإلهًا قوياً، فكيف تزايد عدد المؤمنين للغاية، على الرغم من أنهم كانوا مضطهدین، ومُطارَدِين، والذين صلبوه، وضربوا، قد عاشوا حياة ذليله للغاية، حتى أنهم طردوا من كل مدينة، متشردين، تائهين، منفيين.

وحدث كل هذا، في اللحظة التي فيها، يستعد اليهود للحرب، ووجهوا أسلحتهم نحو السلطة الرومانية، وظلوا لفترات طويلة في حالة حرب،

وسيطروا على بعض الأماكن، وأزعجوا الأباطرة الرومان، إزاعاً ليس بالقليل. كانت قوتهم كبيرة، ومع ذلك، فأولئك الذين حاربوا، وصارعوا ضد ملوك كثرين، الذين وضعوا أموالاً طائلة، وأسلحة، وأعدوا الجنود، والقادة، وجموع لا حصر لها، لم يتمكنوا من إقامة هيكل واحد. بالطبع قد بنوا مجامع في مدن كثيرة، ولكن المكان الذي منح أمتهم كل هذا المجد، وقد اعتادوا أن يؤدوا كل ممارساتهم الدينية فيه، والذي حفظ لليهودية كيانها، لم يستطيعوا أن يعيدوا بناءه إلى الوضع الذي كان عليه.

)

العظمة الثانية

الوهبة الإلهية

للقديس خريغوريوس النيسبي



## فهرس المحتويات

٩٧ .....	العظة الثانية .....
١٠١ .....	القديس غريغوريوس النبىسى (٣٩٤.٣٣٥)
١٠٧ .....	مقدمة .....
١١١ .....	ألوهية الإن .....
١١١ .....	حارين في الروح .....
١١٦ .....	إعلان الحقيقة: .....
١٢٠ .....	مقاومة الحق: .....
١٢٢ .....	أنا في الآب والآب في: .....
١٢٨ .....	تحقيق الوعد الإلهي: .....
١٣٨ .....	ماهية الطبيعة الإلهية: .....
١٤١ .....	ألوهية الروح القدس: .....



## القديس خريغوريوس النيسى (٣٩٤-٣٣٥)

هو الأخ الأصغر للقديس باسيليوس الكبير. ولد في قيصرية كبادوكية سنة ٣٣٥م. وقد أهله دراساته المتنوعة في أثينا أن يكون ذا ثقافة لاهوتية عميقة، كما هو واضح من أسلوب كتاباته المتميز. عمل القديس غريغوريوس النيسى لفترة قصيرة بالخطابة، ولكنه بعد نصيحة من صديقه القديس غريغوريوس اللاهوتي ذهب إلى أحد الأديرة التي أسسها أخوه القديس باسيليوس الكبير. ثم بعد ذلك رُسم، على غير إرادته، أسقفًا لبلدة نيس سنة ٣٧١م.

وضع القديس غريغوريوس النيسى كل اهتمامه في رعاية المحتاجين، وتحصين المؤمنين بالكلمة المستقيمة والتعليم الصحيح. وكان هدفه الوحيد هو قيادة النفوس إلى المسيح، إذ هو الطريق الوحيد الذي يستطيع أن يقود البشر إلى الحياة الأبدية، والتمتع بخيرات الدهر الآتي. وبسبب ثباته في الحق وتمسكه به، صار هدفًا للأريوسيين الذين أدارواه في مجمع محلى بمدينة نيس وأبعدوا عن كرسيه. إلا أنه بعد وفاة الإمبراطور فالنس سنة ٣٧٨م عاد إلى كرسيه مرة أخرى، وبعد عام سنة ٣٧٩م شارك في

مجمع أنطاكية ضد أبوليناريوس، وكان له دوراً فعّالاً في دحض آرائه الهرطوقية. ولم يغادر المدينة على الفور بل بقى هناك أشهر قليلة. وفي سنة ٣٨١ شارك في المجمع المسكوني الثاني بالقسطنطينية ولعب دوراً هاماً في المناقشات التي دارت بالمجمع، وقد وضع كتاباً لاهوتية عميقه عن ألوهية الروح القدس وعقيدة الثالوث القدس. تبيح سنة ٣٩٤ م، وتحتفل الكنيسة بتذكاره في ٢٦ هاتور الموافق ٥ ديسمبر من كل عام.

### كتاباته التي حفظت:

#### كتابات عقائدية:

- ١ . ضد أفونوميوس وهو عمل مكون من أربعة أجزاء، وقد كتبه لكى يُفنِّد ويُدَحْض آراءه.
- ٢ . ضد أبوليناريوس: وفيه يُفنِّد ويُرد على آراء أبوليناريوس ويبرهن على حقيقة التجسد الإلهي.
- ٣ . ضد المقدونيين: تحدث فيه عن ألوهية الروح القدس.
- ٤ . عظات تعليميه للموعوظين: وهذا التعليم يُشكّل شرحاً منظماً للإيمان الأرثوذكسي. الجزء الأول منه يتعلق بعقيدة الثالوث، أما الجزء الثاني فله علاقة

بعقيدة الخريستولوجي (طبيعة المسيح)، وفيه يؤكد على أن الخلاص الذي ناله الإنسان قد جاء نتيجة تجسد الكلمة. الجزء الثالث يتحدث فيه عن المعمودية والافتخارستيا.

٥ . وقد كتب القديس غريغوريوس النيسي أربعة رسائل صغيرة عن عقيدة الثالوث وهي:

+ إلى أفسطاسيوس عن الثالوث.

+ إلى أحد الوثيين عن وحدة الجوهر.

+ إلى أفلافيوس، على أنه لا يوجد ثلاثة آلهة.

+ إلى سيمبليكيوس، عن الإيمان.

#### ٦ - عن النفس والقيامة.

بعد عودته من مجمع أنطاكية سنة ٣٧٩م، وجد أخته ماكرينا على فراش الموت، ودار بينهما نقاش سجله القديس غريغوريوس في شكل حوار. وكان محتوى هذا الحوار يدور حول حلول المشاكلات الكبرى في الحياة، وحول النفس، والموت والخلود، والقيامة.

٧ - كتب ضد الإيمان بالقضاء والقدر والمحظى، وفيه يقاوم إيمان البعض بالنجوم والفلك، ويؤكد على أن الأبراج الفلكية لا تؤثر في الإنسان عند ميلاده.

## تفاسير:

- + كتب رسالتين تفسيريتين أرسلهما إلى أخوه القديس بطرس (أسقف سباستيا): عن خلق الإنسان، حيث يفسر الآية ٢٦ من الإصلاح الأول من سفر التكوين. بعد ذلك كتب عن ستة أيام الخليقة، والذي أكمل فيه عمل أخيه القديس باسيليوس الكبير عن الخليقة، ويشرح آراءه ويزيل أي لبث حول نص سفر التكوين.
- + عن حياة موسى النبي ويكون من مدخل في الحياة السرائرية مع عرض لشخصية موسى النبي.
- + تفسير العدد ١٢ من الإصلاح ٢٨ من سفر صموئيل الأول.
  - (٨ عظات).
  - (١٥ عظة).
  - (٥ عظات).
  - (٨ عظات).
- + سفر الجامعة
- + نشيد الأنساد
- + في الصلة
- + في التطبيقات
- + تفسير رسالة كورنثوس الأولى (عظتان).
- + مقال عن المزامير.

## نسكيات:

+ كتب عن البتولية، حيث يرى القديس غريغوريوس النيسى أن البتولية هي الطريق الذي من خلاله ينزل الله إلى الأرض، ويصعد الإنسان إلى السماء. وكنموذج للبتولية الحقيقية، يذكر المسيح له المجد ووالدة الإله العذراء القديسة مريم.

+ عن أعمال المسيحيين.

+ عن الكمال، وأن بداية ونهاية الكمال هو المسيح.

+ عن القصد الإلهي من الخلق.

+ عن حياة ماكريينا.

## مقالات:

كتب القديس غريغوريوس مقالات عقائدية، وأخلاقية، واحتفالية (أى في الأعياد الكنسية)، وأيضاً مقالات مدح، كمدح اسطفانوس أول الشهداء، ومدح في الشهيد ثيودورس، ومدح في القديس غريغوريوس صانع العجائب، وفي الأربعين شهيد، وفي القديس باسيليوس الكبير.

## رسائل:

ومن بين الرسائل التي كتبها حفظت ٣٠ رسالة تناولت موضوعات متعددة.



## مقدمة

يؤكد القديس غريغوريوس النيسي في هذه العظة على أن طبيعة الله هي فوق مستوى أفكار البشر. وقد إنطلق في عرضه لهذه العظة، من حادثة دخول بولس لأحد الهياكل الوثنية، وكانت المقدمة لكتابه، كما يقول، مذبحاً وكتابه على هذا المذبح (إله مجهول). ورغم أنهم إعترفوا بأن إلههم الحقيقي كان مجهولاً، إلا أنهم كانوا يكرمون من يجهلونه، ثم تحولوا بأفكارهم إلى معرفة الإله الحقيقي بعد أن كرز لهم الرسول بولس بهذا الإله الذي يجهلونه. أما أولئك الذين توجه لهم القديس غريغوريوس النيسي بكلامه، فهم يفتخرن بأنهم يعرفون الله الذي يعلو على أفكارهم، وهم بذلك يؤمنون بأمور باطلة، وقد أصابهم العمى تماماً، فبينما أشراق نور الحقيقة على حياتنا، وملئ كل المسكونة، إلا أنهم قاوموا العقائد المستقيمة، وحاولوا أن يُثبتوا أن الإبن وحيد الجنس، مخلوق.

وهذا هو الكفر والإلحاد بعينه الذي نادى به الإفnomيون، متجاهلين قول الرسول بولس في رسالته إلى العبرانيين "الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره"، وقوله أيضًا في رسالته إلى أهل كورنثوس "قوة الله وحكمة الله"، وأوصاف أخرى مشابهة، وكل وصف من هذه الأوصاف مرتبط بالضرورة بالآخر، لا يفهم وحده، أي أن الواحد يدرك في إرتباطه بالآخر. فالبهاء في كل الأحوال هو بهاء شخص آخر، والختم أو الرسم، هو الآخر. فكما أن النور لن يكون بهاء، إن لم يوجد المصدر الذي ينبثق منه، هكذا لا يمكن للطبيعة التي تعطي هذا البهاء، أن تدرك في ذاتها، إن لم يكن البهاء متحد بها. وهكذا الختم الذي يُظهر الجوهر، فالجوهر يصبح معروفاً من خلال رسمه أو ختمه، وهكذا قوة الله، لا يمكن أن تُوجَد بدون الله. ثم يضيف قائلاً: لكن محاربي التقوى، يدعون، بأن الإبن لم يكن موجوداً في وقت ما، لكن إن لم يكن الإبن موجوداً،

فبالتأكيد لن يكون الآب موجوداً، وإن لم يكن البهاء موجوداً، فإن مصدر البهاء لن يكون موجوداً، وإن لم يكن الختم موجوداً، فلن يكون الجوهر موجوداً، وإن لم تكن القوة موجودة، فلن تكون الحكمة موجودة. وإن لم يكن كل هذا موجوداً، فلن يكون الله موجوداً، وكيف سيكون ضابط الكل، لأن كل هذه الصفات. تؤكّد وثبت أن الله موجود. لأنه من غير الممكن إدراّن المجد بدون بهاء، وجواهر بدون ختم، وحكيم بدون حكمة، وقوى بدون قوة، وأب بدون ابن. إذاً يتضح من خلال كل ما قلناه، أن من يُنكر الإبن، ينكر الآب معه، وعندها تُبطل الألوهية بشكل عام. وإنكار الألوهية، ليس شيء آخر، سوى تعليم أبيقور.

نص هذه العظة موجود في بتروЛОجيا ميني وقد تمت الترجمة عن النص اليوناني المنشور في مجموعة

آباء الكنيسة اليونانية (ΕΠΕ) الصادرة في  
تالونيكي Tom. 10, σελ 32-67، ١٩٧٣

أرجو أن يستخدم المسيح إلهاً هنا هذا الكتاب لجد  
إسمه ولبنيان شعبه، بصلوات القديس غريغوريوس  
النبي، وصلوات أبيينا معظم قداسة البابا  
تواضروس الثاني، والمجد والتسبيح والسجود للآب  
والابن والروح القدس الآن وكل آوان وإلى دهر  
الدهور آمين.

د. سعيد حكيم

# اللوهـة الإـن

## حارين في الروح

إن الذين يعشقون مناظر المراعي بأزهارها الخلابة يتأنمون عند النظر إلى روعة جمالها الفائق الذي يجعل أعينهم لا تتوقف عن التأمل في كن واحده منها، بل إن رغبتهم تدفعهم إلى التجول في كل ركن منها، حتى لا يفوتها التمتع بمشاهدة كل شيء، وبينما يفعلون ذلك، لا يتمتعون بما يرون في روعته، لأنهم يريدون إلا يفوتهم مشاهدة أي منظر من هذه المناظر الخلابة، وأنا أيضاً أتألم على هذا النحو. عندما أجول في مرعى الكتاب المقدس، لأن المعاني الجميلة المتنوعة، تجذب نفسي إلى كل تفاصيل نصوص الكتاب المقدس، وتجعل الرغبة متارجحة، ولا تستطيع أن تقرر ما الذي تفضله من كل هذه المعاني المتتساوية في جمالها. هكذا أشرقت زهور النبوة داخل العظيم داود النبي، وكم هو زهرة جميلة هذا الرسول الإلهي (الرسول

بولس)، الذي يؤكد على جمال الفردوس، والذي تتسم رواح المسيح العطرة، وأيضاً أي لغة إنسانية تستطيع أن تصف جمال أزهار الإنجيل؟

ولكن من الجيد، كما أعتقد أن أشير في هذه الساعة إلى ما يبحث عليه سفر الجامعة، "إذا امتلأت السُّحبُ مَطْرًا ثُرِيقَةً عَلَى الْأَرْضِ"<sup>١٢٧</sup>. حتى أغير من النحلة، والتي كما يقول الكتاب أن لها بالطبع قوة بسيطة أو قليلة، ولا يشاهدها أحد وهي تقطع الزهرة بكمالها، وتحملها فوق ظهرها إلى الخلية، بل وتطير بأجنحتها وتستقر على الأزهار، وتمتص الرحيق، وتؤدي هذا العمل بحكمة. وتبني خلاياها وتمتد بها، بكل هذه الدقة. وإذا أردنا، أن يساهم حديثي، كما يقول سليمان الحكيم في تعافي الملوك، والبسطاء، فلنحتضن النعمة، أنا وأنت بالتساوي، ولنفعل ذلك بالصلة. لأن الريح مشترك، بل إن ريحكم أعظم، لأنه أن تثال شيئاً جيداً غالباً للريح، أفضل من أن تُعطي. الإنجيل يمنع أن نضع

---

<sup>١٢٧</sup> ج ١١: ٣.

خمراً جيداً في زقاق عتيقة<sup>١٢٨</sup>، وربما هذه الإشارة تخص اللحظة الراهنة، بمعنى أن عصير العنب بعد إجراء عملية غليه، وإضافة الكحول، ومع فورانه نتيجة الغلي، يُخرج ريم وبعض الأشياء العالقة، حتى يصبح في النهاية، نقىأ.

هذا بحسب كلمات الرسول بولس، ليس شيء آخر سوى التعليم عن الروح القدس، لأنه يقول: "حارين في الروح"<sup>١٢٩</sup>، هذه الكلمات لا تحتملها النفوس الفاسدة، الممزقة، والممهلة، بسبب الكفر وعدم الإيمان، بل وبهلكون من كل جانب، أمام عظمة العقيدة. لذلك إن حدث وثار داخلهم فكر مرتفع بسبب التعليم، تُبده العقيدة الإيمانية العظيمة القدر، وهذا فإن الخروقات ذاتها التي تتسع بسبب أعمالهم، يجعل النفس بلا نفع، ويجعلون نعمة الروح القدس تفرغ وتنسكب بلا نفع. لأن الكتاب يقول: "الحكمة لا تدخل نفساً ماكراً"<sup>١٣٠</sup>. لكن

<sup>١٢٨</sup> مت ١٧:٩.  
<sup>١٢٩</sup> رو ١١:١٢.  
<sup>١٣٠</sup> حك ٤:٤.

إسمحوا لي، وهذا أفضل، أن أقتدي بعادة الفقراء.  
لأن هؤلاء عادة، عندما ينالوا شرف الجلوس على  
مائدة غنية بالأطعمة، يتغلبون على خجلهم،  
ويخذون من الأطعمة التي تقدم لهم، جزءاً للاليوم  
التالي. وأنا أيضاً سأستخدم من فائض الأمس، قدرًا  
يسيرًا، حتى أضع لكم من هذا المقدار طعامًا على  
قدر طاقتى، محتفظاً بالكثير مما طرح أو قدّم اليوم  
للجالسين الكاملين.

إذاً ما هو الذي لم يأكلوه من وليمة الأمس الغنية  
بالأطعمة، ولم يستطع جلساء المائدة أن يهضموه؟  
إنه مقطع من سفر أعمال الرسل، يحكى لنا كيف  
كانت زيارة الرسول بولس إلى أثينا، فبينما الشعب  
كان يعبد الأوثان بهوس، واصابهم الدوار، بسبب  
الأبخرة، وروائح البخور التي في الهياكل، إحتدت  
روح الرسول بولس فيه، كأنه تiar ملأ نفسه، ولم  
تسع نفسه لقبول هذا المشهد، ولم يجد مخرجاً  
لهؤلاء الناس غير المستحقين للحياة الأبدية. لذلك  
أتنى في مواجهة مع الرواقيين، والإيبوقدورين، فصعد

إلى أريوس باغوس محاولاً أن يقودهم إلى معرفة الله، من خلال أمور معروفة لديهم. لأن المقدمة لكتابه، كان مذبحاً كتب عليه عبارة لإله مجهول.

ولماذا أشير إلى هذا المقطع؟ لأن اليوم أيضاً هناك من هم على شاكلة أهل أثينا، الذين لا ينفقوا وقتهم، إلا فقط في سماع كل ما هو جديد، وانتحاث فيه أيضاً، بعضهم يمارس هذا الأمر في المساء، والبعض الآخر في الصباح، وهؤلاء ينتمون إلى مهن متواضعة، البعض أقام من نفسه معلماً للعلوم اللاهوتية، وربما كان يوجد عبيداً أيضاً من كانوا يُجلدون بقسوة، أو هاربين من أداء خدمات مكلفين بها، هؤلاء يأتون إلينا ليعلمونا عن الأمور غير المدركة. بالطبع لا يغفل عليكم، إلى من أتوجه بحديثي هذا. لقد إمتلأت كل جنبات المدينة من هؤلاء الناس، الأزقة، الأسواق، الميادين، والبيوت، تجّار الأقمشة، وبائعي الفضة، والبقالين. فإن سألت أحد منهم عن المال، سيجيبك عن المولود، وغير المولود، وإن سألتـه عن ثمن الخبز، سيردـ بأن الآب

هو أَعْظَمُ، وَالإِبْنُ يَخْضُّ لَهُ. وَإِنْ قُلْتَ لَهُ إِنَّ الْحَمَّامَ مُعَدٌ، سِيَقُولُ لَكَ بِشَكْلٍ فَاطِعٍ إِنَّ الإِبْنَ قَدْ أَتَى مِنَ الْعَدْمِ. أَنَا لَا أَعْرِفُ كَيْفَ أُسَمِّيُ هَذَا الشَّرُّ، هَلْ هُوَ جَنُونٌ، أَمْ هُوْسٌ، أَمْ وَبَاءٌ قَدْ أَصَابَ الْعُقْلَ بِالْعُتَّةِ.

### إعلان الحقيقة:

لَذِكَّ أَقُولُ إِنَّ هَذَا الْمَقْطُوعُ مِنْ أَعْمَالِ الرَّسُولِ، يَخْصُّ هُوَلَاءَ. لَأَنَّ مَا يَخْبُرُنَا بِهِ الْكِتَابُ عَنْ أَهْلِ أَثِينَا، هُوَ مَا يُمْكِنُكَ أَنْ تُلْاحِظَهُ إِلَيْهِ الْآنَ عَلَى هُوَلَاءَ النَّاسِ. وَإِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَقُولَ الْحَقِيقَةَ، فَإِنَّ خَطِيئَتِهِمْ هِيَ أَكْثَرُ ثُقَلاً مِنْ خَطِيئَةِ أَهْلِ أَثِينَا. لَأَنَّ أَهْلَ أَثِينَا، كَمَا لَوْ كَانُوا قَدْ أُصَبِّيُوا بِمَرْضٍ فِي أَعْيُنِهِمْ، إِذْ قَدْ أَغْلَقُتْ عَيْنَوْنَ أَنفُسَهُمْ، لَمْ يَسْتَطِعُوْا أَنْ يَكْرِزُوا بِالْحَقِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ بَنْوَعَ مَا مِنْ تَوَاصُلِ الْأَفْكَارِ، قَدْ أَدْرَكُوا أَنَّ الْأَمْرَ الْمُخْتَصَّةَ بِاللهِ هِيَ غَيْرُ مُدْرَكِهِ تَمَامًا، لَأَنَّهَا تَجَاوزُ أَفْكَارَنَا، لَأَنَّ طَبِيعَةَ اللهِ لَا تَخْضُّ لِلْفَكْرِ. لَذِكَّ، فَبِمِنْ إِعْتَرَفُوا بِأَنَّ إِلَهَهُمُ الْحَقِيقِيُّ، كَانُوا مَجْهُولَّاً، إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يُكَرِّمُونَ مَنْ يَجْهَلُونَهُ، بِمَذْبُحٍ وَبِعَبَارَاتٍ مَكْتُوبَةٍ.

) ومن حيث أنهم تحولوا بأفكارهم نحو الإله الحقيقي، فهذا ما يشهد به الرسول بولس نفسه، كارزاً لهم بالإله الحقيقي، والذي إعتقدوا أنهم يعبدونه، مكرمين المذبح الذي كتب عليه إسمه.

إذاً ألا يعتبر الذين يؤمنون بالأمور الباطلة، أسوأ من القدماء؟ أولئك الذين لا يؤمنوا بأن الأمور المختصة بالله، تتجاوز إدراكهم، بل يفتخرون بأنهم يعرفون الله، كما يعرف هو ذاته؟ كيف لا ينوح المرء، ويحزن على هؤلاء المؤسأء الذين أصابهم العمى، فبينما أشراق نور الحقيقة في حياتنا، ومملأ المسكونة، فإن هؤلاء يتطلعون للأرض بقتمامة، وظلمة نفس؟ أم أنكم تجهلون ماهية النور الذي أتحدث عنه، والذي ملأ حياتنا؟ إحصوا لي المنارات الملكية التي تتساوى في العدد مع المبشرين بالإنجيل، إنها تظل ضئيلة، أمام أولئك المبشرين بالحق، الذين جابوا المسكونة وأناروها، بنور السلام والتفوى. فعندما صنع الله، خالق كل الأشياء، أول آية خاصة بالأجرام السماوية، لم يضع في البداية،

ما نراه من النور الأكبر (أي الشمس)، بل وضع إلى جواره النور الأصغر (أي القمر)، والذي كان يُشرق في نفس الوقت مع إشعاعات الآباء. وبعد ذلك وبينما صار لدينا إصلاحاً في نفوسنا، فكما لو كانوا قد تهيجوا بشدة من وخذ الشياطين، قاوموا العقائد الحقة بلا خجل، فتبعوا أولئك الرواقيين، والإبیوقوريين الذين تصادم معهم الرسول بولس في أثينا، حتى لا تعتقدوا أن حديثي فيه وشایة بأحد، لنفحص عقائد هؤلاء الفلاسفة. فالرواقيون يعتبرون أن الإلهية شيء مادي، وهؤلاء الهراطقة أيضاً يحاولون أن يُثبتوا أن الإنن وحيد الجنس، مخلوق. وبالطبع أنتم تعرفون مدى القرابة التي تربط بين المخلوق، والمادة. ومن ناحية أخرى فإن الإبیوقوريين يؤمنون بأن لا أحد يُدير هذا الكون أو يراقب ويلاحظ الكائنات، بل إن كل شيء يسير من تلقاء ذاته، وليس هناك أي عناء أو إهتمام بتدبیر أمور هذا الكون. ولكي نسجل ضلالهم، وعقائدهم التي سرّعاً ما انتهت إلى الإلحاد والكفر، لنفحص

الآتي: "أليس كل من يُنكر ألوهية الإناء، يقتدي بالإلبيوقوريين؟ ويجب ألا يُعارض أحد في أن إبيقور لم يعرف الآب، ولم يعترف بألوهيته، فكيف لا يعتبر الذين ينكرون ألوهية الآب، جادلين، وملحدين؟ وإن إنتبهت قليلاً، ستجد في شخص أفنوميوس، إبيقور آخر. لنفحص الآتي: لقد دعى الرسول بولس، الإناء "بَهَاءً مَجْدِهِ، وَرَسْمً<sup>١٣١</sup> جَوْهَرِهِ". وأيضاً "قُوَّةُ اللهِ وَحِكْمَةُ اللهِ"<sup>١٣٢</sup>. وأوصاف أخرى مشابهة. وكل وصف من هذه الأوصاف مرتبط بالضرورة بالآخر، ولا يفهم بمفرده، بل بإتحاده بالآخر، أي يُدرك الواحد مع الآخر. فالبهاء هو في كل الأحوال، بهاء شخص آخر، والرسم أو الختم هو في كل الأحوال، ختم لآخر. مثلما أن النور، لن يكون بهاء، إن لم يوجد المصدر الذي ينبع منه، هكذا لا يمكن للطبيعة التي تُعطي هذا البهاء، أن تُدرك في ذاتها إن لم يكن البهاء مرتبطاً بها. وبالمثل هو الختم الذي يُظهر الجوهر،

<sup>١٣١</sup> عب ١:٣ .  
<sup>١٣٢</sup> كوك ١:٢٤ .

والجوهر يصبح معروفاً من خلال ختمه. هكذا قوة الله، لا يمكن أن توجد بدون الله، ومن غير الطبيعي أن يُعرف الله بدون قوته. إِذَا فَكَلْ مَنْ يَقُولُ أَنْ عَضْوًا مِنْ أَعْصَاءِ هَذَا التَّزَوْجِ أَوِ الْإِرْتِبَاطِ، غَيْرٌ مَوْجُودٌ مَعَ الْقُوَّةِ، فَهُوَ يُبْطِلُ الْآخَرَ.

### مقاومة الحق:

إِلَّا أَنْ مَحَارِبِي التَّقْوَى، يَدْعُونَ، بِأَنَّ الْإِبْنَ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا فِي وَقْتِ مَا. وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ: إِنْ لَمْ يَكُنْ الْإِبْنَ مَوْجُودًا، فَبِالْتَّأْكِيدِ لَنْ يَكُنْ الْآبُ مَوْجُودًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْبَهَاءُ مَوْجُودًا، فَإِنْ مَصْدِرُ الْبَهَاءِ لَنْ يَكُنْ مَوْجُودًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْخَتْمُ مَوْجُودًا، فَلَنْ يَكُنْ الْجَوْهَرُ مَوْجُودًا، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ الْقُوَّةُ مَوْجُودَة، فَلَنْ تَكُنِ الْحَكْمَةُ مَوْجُودَة. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كُلُّ هَذَا مَوْجُودًا، فَلَنْ يَكُنْ اللَّهُ مَوْجُودًا، وَكِيفَ سَيَكُونُ ضَابِطُ الْكُلِّ، لَأَنَّ كُلَّ هَذِهِ الصَّفَاتِ، تَؤْكِدُ وَتُثْبِتُ أَنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ. لَأَنَّهُ مِنْ غَيْرِ الْمُمْكِنِ إِدْرَاكُ الْمَجْدِ بِدُونِ بَهَاءٍ، وَالْجَوْهَرُ بِدُونِ خَتْمٍ، وَالْحَكِيمُ بِدُونِ حَكْمَةٍ، وَالْقَوِيُّ بِدُونِ قُوَّةٍ، وَأَبٌ بِدُونِ إِبْنٍ. إِذَا يَتَضَعَّ مِنْ خَلَالِ كُلِّ مَا قَلَنَاهُ، أَنْ مَنْ

يُنكر الإبن، ينكر الآب معه، وعندئذ تَبْطُلِ الألوهية  
بشكل عام. وإنكار الألوهية، ليس شيئاً آخر، سوى  
تعليم إبيقور.

إذاً فإن معلمي الخداع والضلال الحاليين، أثبتوا  
 بأنهم تلاميذ إبيقور الذين إزدواجوا بالإبن وحيد  
 الجنس، وأعطوا الآب إمتيازاً على الإبن، وعلموا بأن  
 الآب أكبر، والإبن أصغر. وأن الآب يُرسِلِ الإبن،  
 هؤلاء الحمقى يأتون ببعض المقاطع من الكتاب  
 المقدس، ويزعمون بأنها تؤكد على هذا التعليم،  
 ويقولون إن الإبن نفسه يعترف بأن الآب قد أرسله.  
 ومن حيث أنه أُرسِلَ، فأنت تعرف ذلك، ولكن ألم  
 تسمع بأن الآب الذي أرسله هو معه؟ يقول: "وَالَّذِي  
 أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي" <sup>١٣٣</sup>. ألا تعلم إنطلاقاً من هذه  
 الكلمات، أنه أُرسِلَ، لكنه لم ينفصل عن أبيه؟ لأنه  
 أُرسِلَ بسبب محبة الله للبشر، لكنه لم ينفصل عن  
 الآب، لأن طبيعتهما لا تقسم. قالوا أيضاً أن الإبن

وحيد الجنس قد إعترف بأن الآب أعظم منه: "لأنَّ  
أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي" .<sup>١٣٤</sup>

### أنا في الآب والآب في:

للفحص إذا أيها الأخوة لربما يكون ذاك الذي يقول: "أنا في الآب والآب في"، ينطق كذباً. فإن كان الآب أعظم من الإبن، فكيف يسع الأصغر، الأكبر؟ وإن كان الإبن أصغر من الآب، فكيف يمتلىء الأعظم من الأصغر؟ والعظيم وفقاً لهذه الرؤية يتضائق داخل الأصغر، والأصغر لا يستطيع أن يدرك مدى إتساع الأعظم منه. هكذا يكون الإبن بالضرورة أقل داخل الآب، والآب يزيد ويفيض داخل الإبن. وهل يكذب الذي قال: "أنا في الآب والآب في". وإن كان أصغر، لكان ينبغي أن يقول "أنا في جزء من الآب"، "والآب في". كان ينبغي أن يقول إن الآب أعظم مني، وإن جزء من الآب في. لكن إن كان الآب بالكامل في الإبن، والإبن بالكامل في الآب فأين الأعظم والأصغر؟

---

.٢٨٤: ١٤٠

وهل هناك إحتياج لحديث مُطول، طالما أننا نستطيع أن نحصر كل ثرثراهم في عبارة واحدة؟ هكذا يقول الرسول بولس: "الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللَّهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لِلَّهِ" <sup>١٣٥</sup>. أخبرني هن سمعت كلمة "معادلاً"، وفهمت الغير معادل؟ أي تعليم غريب هذا الذي يشرح ويفسر المتفاوت في المساواة، أو غير المساواة، بواسطة المساوي!

ولكن ربما يكون من الطبيعي أن يطلب أحد من المتعلمين تعليماً متميزاً، شرحاً لهذه الأمور، كيف للأب أن يكون أعظم من الإبن، والإبن معادلاً له؟ ولماذا تبدو هذه الأمور بأنها غير مُتوافقة فيما بينها؟ لنترك صراعي مع خصوم كثيرين، حتى أحذكم عن هذه الموضوعات، برغبة أبوية. فأنا لا أعتقد أن كل كلمات الإنجيل، المرتبطة بالتعليم عن الأمور المختصة بالرب، متساوية في الإعلان عن هذه الأمور، ولا تعلن عن نفس المعنى. فبعضها تكرز بصوت واضح، بألوهية ابن الله المرتفعة فوق

---

<sup>١٣٥</sup> في ٦:٢.

كل شيء، وبعضاً ينزل إلى تواضع الطبيعة الإنسانية. أي عندما يقول ربنا: "أَنَا أَمْرُكَ"<sup>١٣٦</sup>، وأيضاً: "أَرِيدُ، فَاطْهُرْ!"<sup>١٣٧</sup>، "أَنَا فِي الْآبِ وَالآبُ فِي؟"<sup>١٣٨</sup>، وأيضاً: "الَّذِي رَأَنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ"<sup>١٣٩</sup>، وأيضاً "أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ"<sup>١٤٠</sup>، و "وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الْابْنَ إِلَّا الْآبُ"<sup>١٤١</sup>، وأيضاً "وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي"<sup>١٤٢</sup>. وكل الآيات المماثلة التي تُعلن عن القوة التي هي فوق كل الكائنات، والسلطات.

أيضاً عندما يتحول حديثه نحو طبيعتنا الضعيفة الذي إتخذها، يقول: "نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًا حَتَّى الْمَوْتِ... إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِي هَذِهِ الْكَأسُ"<sup>١٤٣</sup>. وأيضاً "لَا يَقْدِرُ الْابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا"<sup>١٤٤</sup>.

<sup>١٣٦</sup> مر ٢٥:٩.

<sup>١٣٧</sup> مر ٤١:٤.

<sup>١٣٨</sup> يو ١٠:١٤.

<sup>١٣٩</sup> يو ٩:١٤.

<sup>١٤٠</sup> يو ٣٠:١٠.

<sup>١٤١</sup> مت ٢٧:١١.

<sup>١٤٢</sup> يو ١٧:١٠.

<sup>١٤٣</sup> مت ٣٩-٣٨:٢٦.

<sup>١٤٤</sup> يو ١٩:٥.

وأيضاً "الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيهَةً": مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ<sup>١٤٥</sup>. وأيضاً "إِنِّي أَصْنَعُ إِلَيْهِ أَبِي وَأَبِيكُمْ وَالْهَيِّ وَإِلَهُكُمْ"<sup>١٤٦</sup>. أضف إلى ذلك، بكاءه على قبر لعاذر، الإحساس بالتعب بعد مسيرة سفر، الإحتياج للطعام، والعطش إلى الماء، ونومه في مؤخرة السفينة، نجد أن كل هذه الأمور، وأمور أخرى مماثلة لها، لا تشير إلى مقام ومكانة كلمة الله، التي كانت له منذ البدء، بل إنها تُظهر تنازله إلى طبيعتنا الضعيفة، فهو الذي أخلى ذاته، أخذًا صورة عبد.

إذاً فقد قال: "أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي"<sup>١٤٧</sup>. لنفحص من قال هذا الكلام، وكيف أرسل؟ هل في صورة الله التي له، أم في صورة العبد التي أتخذها؟ هل آتى بمجد الإلهية الكامل، أم أنه أخلى ذاته آخذًا صورة عبد؟ أعتقد أن الأمر واضح كل الوضوح، فالقوة الإلهية إذ هي حاضرة في كل مكان، وتحيط بكل

<sup>١٤٥</sup> ٤٩:١٢ يو .  
<sup>١٤٦</sup> ١٧:٢٠ يو .  
<sup>١٤٧</sup> ٢٨:١٤ يو .

شيء، لا تستطيع بالمنطق، أن تقول إن أحداً قد أرسلها. لأنه لا يوجد شيء، يخلو من هذا الحضور الإلهي، بحيث أنه لم يكن الإبن موجوداً، ثم أتى عندما أرسل. لكن إذ هو يضبط كل شيء بقوته التي تحفظ الكون من الإنحلال، فإنه هو ذاته ملء كل شيء.

إذا نزول ابن الله إلى مذلتنا، وضعفنا، والذي صار بمشيئة الآب، فهذا هو الذي يُقال عنه، إرسالية. هذا الانتقال الذي للطبيعة النقية الطاهرة، ودخولها إلى حياتنا، لا يُعلن عن إنتقال مكاني للرب، بل هو نزول من المجد السامي، إلى الجسد المتواضع. نزل الكلمة إذا وصار جسداً، ليس في صورة الله كما هي في ذاتها، بل في صورة عبد. هذا هو الذي قال: "لا يقدر الإبن أن يعمل من نفسه شيئاً"، ومن الواضح أن هذا القول، راجع إلى أن الكلمة صار جسداً. لأن قوله "لا يقدر"، هو دليل على ضعف، أي مثلاً يكون الظلم أمام النور، والموت أمام الحياة، هكذا تبدلت القوة إلى

ضعف. لكن المسيح هو: " قوة الله وحكمة الله"، وبالتأكيد القوة ليست ضعفاً. فإن كانت القوة، ضعف، فأين هو القوي.

إذاً عندما ظهر أن الكلمة لا يقدر أن يفعل شيئاً من ذاته، فمن الواضح أنه لا ينسب الضعف إلى الألوهية وحيد الجنس، ولكنه ينسب هذا الضعف إلى طبيعتنا. والجسد ضعيف، كما هو مكتوب: " أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ"<sup>١٤٨</sup>. الكتاب المقدس يقول الحقيقة في الحالتين، عندما يعترف بالأعظم، وعندما يُقر بالمساواة. لأنه حين يتوجه الكلمة نحو البعد الإنساني، يُقر بأن غير المرئي أعظم من المرئي داخل الجسد، لكن عندما يقود أذهاننا نحو الألوهية، فإن هذا التعارض في المقارنة بين الأعظم والأصغر، يبطل، ويحمل بدلاً منه الكرازة بالوحدانية فيما بينهما: " أَنَا فِي الْآبِ وَالْآبُ فِيّ" ، وبالتالي أي تباين أو تغيير في المساواة، يجعل من غير الممكن أن يكونا، واحداً. ثُرى هل أقنעם

حديسي، في مواجهة التعليم الهرطوفي الخاص بعدم المساواة بين الآب والإبن؟ أم أنكم ترغبون أن أؤكد الكلام، بمزيد من الشهود، كما هو الحال في المحاكم؟ اسمحوا لي أن أعود إلى حديسي سريعاً، مُشيراً إلى حدث قد وقع في العهد القديم. هذا الحدث ليس بعيداً عن هدفنا. سمعتم القراءة الرسولية التي تحكي في عجالة قصة إبراهيم: "فَإِنَّهُ لَمَا وَعَدَ اللَّهَ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْظَمُ يُقْسِمُ بِهِ، أَفْسَمَ بِنَفْسِهِ" <sup>١٤٩</sup>.

### تحقيق الوعد الإلهي:

هذه القصة ليست معروفة للكثيرين، وهذا أمر طبيعي، لذلك فإنني سأعرضها لكم بكلمات قليلة على قدر ما استطيع. فقد أخرج الله إبراهيم من أرضه، ومن عشيرته، ومن وطنه، وعاش أبو الآباء في غربة، وإحتمل هذه الغربة على رجاء تحقيق الوعد الذي وعده الله بقسم. وقد وضع على إبراهيم، كاختبار لإيمانه في وعد الله، إحتمال كل هذا

الزمن الطويل الممتد، حتى يكتمل رجاؤه. والوعد الذي أخذه، أنه سيصير أباً لأمة كبيرة. وعبر زمن طويل، ترك آثاره على إبراهيم، خاصة وأن عمره قد وصل إلى مرحلة الشيخوخة، والرجاء ظل كما هو رجاء. وكما هو طبيعي فقد وهن قوتهما (هو وزوجته)، وأصبحا غير قادرين على الإنجاب. وهذا ما عبر عنه الكتاب المقدس بوضوح، قائلاً: إن مستودع سارة قد توقف عن أن يعمل، إذ قد صار مُمَاتاً. وهكذا خضع الجسد للقانون الطبيعي، بتراجع سن الشباب، وإنحنى بسبب الشيخوخة، لكن الرجاء في تحقيق الوعد الإلهي، ظل مزدهراً وحيياً.

وقد تحقق الوعد الإلهي بالفعل، وأنجبا إسحق، حتى يظهر أن ولادته، هي نتاج قوة إلهية، وليس عمل الطبيعة الإنسانية. وكما هو طبيعي إمتلاكليهما بالفرح، بسبب هذه العطية الإلهية. وبدأ المصدر الذي يعطي اللبن لسارة المسنة في الجريان بغضى بسبب الحاجة إليه، وأصبحت قادرة على رضاعة الطفل. فرحت بهذه المعجزة التي تفوق

العمل الطبيعي، وقالت: " مَنْ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ: سَارَةُ  
ثُرْضَعُ بَنِينَ؟" <sup>١٥٠</sup> . وبدأ الصبي ينضج رويداً رويداً،  
ووصل إلى عمر الزهور، بجمال مزدهر، ومشهد  
رائع ومفرح لأبوية، خاصة وأنه كان يزداد بهاءاً،  
وقوة، وينمو في الفضيلة بصفة دائمة. كيف كان  
إحساس أبوية من نحوه، فكروا أنتم في هذا الأمر،  
وإفحصوه وحدكم، أي كيف يشعر الآب وهو ينظر  
إلى ابنه عندما كان يلهمه، أو وهو يستذكر دروسه،  
ويتسامر مع رفقاءه من نفس السن. ثم حدث أن أبو  
الآباء قد واجه تجربة، واختبار لإيمانه، إلا أنه ألقى  
بكل همومه على محبة الله، أكثر من الغريزة الأبوية  
الطبيعية. إني أرتعب حين أروي قسوة هذه التجربة.  
فقد ناداه الله ودعاه بإسمه. وأطاع إبراهيم، ولبى هذه  
الدعوة بنشاط ورغبة صادقة، منتظراً، بحسب كل  
ما أخذ حتى الآن، أن تُعطى له النعمة الثانية.  
لكن ما هو هذا الأمر الإلهي؟

١٥٠ نك ٢١:٧.

قال له الله: "خذ إبنك وحيدك"<sup>١٥١</sup>. ر بما هذا القول لا يتوافق أو يُناسب قلب الأب. بالتأكيد قد فَكَرَ بأنه يأمره، حتى يقود إبنه للزواج، حتى تكتمل البركة بكثرة النسل. لذى بقية الكلام، يقول "خذ إبنك وحيدك الذي تُحبه". إنْتَهِي إلى حدة الكلمات، كيف تخترق أحشاء الأب، كيف تلهب الطبيعة الأبوية، كيف تثير الحب والحنان الأبوى، فهو يدعوه "الابن الوحيد والمحبوب"، كما لو كان أراد أن يُشعّل محبته لإبنه. وماذا سأفعل به، إن أخذته؟ يقول: "أصعده محقة". هل تُريد أن أجعله كاهناً؟ بالطبع ليس كاهناً، بل ذبيحة يقول: "محقة على أحد الجبال الذي أقول لك".

بماذا شعرتم يا مَنْ أنتم آباء، وأنتم تسمعون هذه الرواية، وأنتم تحملون طبيعة حنونة تجاه أبناءكم؟ بالطبع سمعتم، كيف إستقبلت أذان الأب، ذبح إبنه وحيده الذي يُحبه. ومن لا يشعر بفقدان التوازن، عند سماعه لهذا الطلب، ألا يُغلق أذانه، ألا يفضل

عند سماعه لهذا الأمر، أن يموت على أن يتحمل  
قلبه هذه الكلمات؟ ألا يجعل من طبيعته كأب،  
مدافعاً عنه، قائلاً أي أمر هو هذا الذي تصدره لي  
يا إلهي؟ هل جعلتني أباً، حتى أصير قاتلاً لإبني؟  
هل أعطيتني أن أختبر هذه العطية المباركة، حتى  
يجد الناس ما يتكلمون به عنِّي في المستقبل؟ هل  
أذبح إبني بيدي، وأريق دمه؟ هل تهبني العطية،  
وتفرح بمثل هذه الذبائح؟ أقتل إبني، الذي تمنيت أن  
يُقيم لي قبري؟ هل هذه هي غرفة العرس التي  
سأعدها له؟ وهل هذه هي فرحة العرس الذي  
سأقدمها له؟ أهكذا أشعل النار فوق قبره، بدلاً من  
شموع الفرح؟ وهل هذه هي الأكاليل التي أصنعها  
له، حين أقدمه كذبيحة، وأصعده كمحرقة؟ وهل  
هكذا سأكون أباً لأمم كثيرة، وأنت لا تسمح لي بأن  
يكون لي إيناً واحداً؟

هل قال إبراهيم شيئاً مثل هذا، أو على الأقل  
فَكَرَ في شيء مثل هذا؟ بالتأكيد لم يفكَر قط في  
هذا. بل لأنَّه فهم معنى الأمر الإلهي، حَوْلَ نظرته

نحو محبة الله، وعلى الفور نسي طبيعته. وألقى عن كاهله المشاعر الطبيعية كحمل أرضي، وسلم نفسه بالكامل لله، وقبل تتنفيذ أمره، بل ولم يقل لزوجته أي شيء من ذلك، وسلك بالصواب، وبما يحقق المنفعة لنفسه، وإعتبر أن مشورة زوجته في هذا الموضوع أمراً غير ذي جدوى. لأن آدم لم ينتفع بقبوله لمشورة حواء. إذاً وحتى لا تتهاز طبيعة الأمومة التي لسارا، وتهتر بشدة محبة إبراهيم لله، فضلًّاً إلا تعلم زوجته بهذا الأمر. لأنه لو كانت سارة قد علمت بهذا الأمر، لتصرفت بشكل غير طبيعي، وأقامت مناحة من أجل إبنتها. وهل هناك ما لا يمكن أن تفعله، إن رأت إبنتها يُجرّ بقسوة إلى الذبح، ما كانت لتركته لهذا المصير، ولأحتضنته بشدة؟

كانت ستقول فلتحزن يا زوجي، يا جسدي، ينبغي ألا يصير هذا الشر الذي ينزع الحياة. إبني هذا، هو وحيد، إسحق هو وحيدني الذي ولدته، وحيدني الذي إحتضنته، هذا هو إبني الأول والآخر، من سنرى على المائدة، إذا رحل عنّا إبنتنا؟ من

سيُناديني بهذه الكلمة الحلوة، أمي؟ من سيُخفف،  
ويهون من شيخوختي؟ وعندما أموت من سيُجهزني  
للدفن؟ من سيبني لي قبري؟ أنظر إلى زهرة شبابه،  
حتى عدوه، سيحزن لضياع هذا الجمال. هذا هو  
ثمرة صلاتي المستمرة، هذا هو الفرع الذي سيخلفنا،  
هذا هو الذي سيبقى من نسلنا، هذا هو السند في  
شيخوختنا. فإن أردت أن تذبحه بالسكين، فقدم لي  
أنا هذه الخدمة وأذبحني أن البائسة. حول سيفك  
نحوي أنا أولاً، وبعدها أصنع ما شئت بأبنك. ليكن  
قبر كلينا واحد، وليرغطي نفس التراب جسدينا. يجب  
ألا ترى عيني سارة، إبراهيم وهو يقتل ابنه، ولا  
إسحق قتيل بأيدي أبيه.

هذه الكلمات، وكلمات أخرى مشابهة، كانت  
ستقولها سارة بكل تأكيد لإبراهيم، إن كانت قد سبقت  
وشعرت بما سيحدث. ولكي لا يكون هناك عائقاً  
فيما بدأ في تنفيذه، فبعدما حمل الحطب على  
حماره، وأخذ معه أثنتين من غلمانه، سلم نفسه  
بالكامل لمشيئة الله. ثم ترك غلمانه، حتى لا يُفكران

في شيء ذنبي وسعي، يُعطّل هذه المهمة المقدسة، أخذًا معه إبنه فقط، الذي كان في سن يسمح له، أن يسلك بقوة كرجل في أعمال ثقيلة. لأنّه نقل حمل الحطب من على الجمار، ووضعه على إسحق. مرة أخرى يؤثر صوت الإبن في أحشاء الأب بقوة، وهذه تجربة أخرى ليست بأقل قسوة من سابقتها. يُنادي إسحق على أبيه، بتلك الكلمة الحلوة، يا أبي. لم يختنق إبراهيم بالدموع، وهو يفكّر أنه بعد وقت قليل، لن يسمع هذا الصوت، لم يتتهد، ولم يصرخ، ولم يحزن وينوح، بل بنفس ثابته لا تهتز، سمع لصوت إبنه، وكلمه. لأنّه يقول له: "هانذا يا إبني".

إنتبه هنا لحكمة إسحق وتعقّله، كيف أنه يذكر ببساطته أنّ الأب قد أهمل شيئاً، دون أن يتهمه لا بالغباء، ولا بالنسيان. لأنّه يقول له: "هونذا النار وال火طb ولكن أين الخروف للحرقة؟". لكنّ الأب إما لأنّه أراد أن يُشجع إبنه، وإما لأنّه تكلم كنبي بما سيحدث، أجاب: "الله يرى له الخروف للحرقة يا أبني". وبهذا إمتدت تجربة إبراهيم أيضًا. وهكذا

وصل إلى الموضع الذي قال له الله أن يذهب إليه، وهناك بني المذبح، ورتب الحطب، وبدأ في أعداد النار، ولم يمنعه شيء عن تقديم الذبيحة. حتى لا يقول أحد من الجبناء صغار النفوس، إذا كانت التجربة قد توقفت عند هذا الحد، أي الإعداد لتقديم الذبيحة فقط، ما كانت طاعة إبراهيم الله تتجلى على هذا النحو.

بعد ذلك أخذ الآب ابنه، ولم تقاومه الطبيعة الأبوية فيما سيحدث. لكن أيّاً منها سأدهش له، وأعجب به أكثر؟ هل هو إبراهيم الذي مَدَ يده ليذبح ابنه، بسبب محبته لله، أم إسحق الذي أطاع أبيه حتى الموت؟ لقد كرّما بعضهما البعض، واحد انتصر على طبيعته الإنسانية، والآخر إعتبر أن مقاومته لأبيه أثقل من الموت. وبعد ذلك ربط إبراهيم إسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب. لقد رأيت مرات عديدة رسم يُمثل صورة الضحية، ولم أستطع أن أعبر على هذا المشهد، دون أن أبكي، لأن الفن يُحضر هذا الحدث أمامنا

بكل وضوح. هكذا رکع إسحاق على ركبتيه بجوار المذبح، مُقيّد الأيدي من الخلف، ثم يجذبه إبراهيم نحوه بيده اليسرى، ثم يضعه على المذبح ويرفع يده اليمنى ليذبحه، مُتسلحاً بالسكين، وحد السكين كان على وشك أن يهوي على الجسد، لكن صوت الله قد منعه عن إتمام هذا العمل.

إن الكلمة الكرازة هي هكذا، فمثل طائر غير مطيع، وصعب، خرج عن طريقه ورحل جانباً، وأخذ يطير ويدور في دوائر بشكل مستمر، هكذا بصعوبة تُعيّد كلمتنا إلى طريقها. لأن هذا هو ما أرداهنا أن نبرهن عليه، أن الرسول بولس يشهد ويؤكّد كلامنا، أن الآب ليس أعظم من الإبن.

إذا الكتاب هنا يقول: إن ملاك الرب ناداه، أي يستخدم الصوت، لأن ملاك الرب نادى وقال: "بذاتي أقسمت يقول الرب إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر.. أبارك مباركة". إذاً من كلم إبراهيم؟ هل هو الآب؟ لكن لا يمكنك أن تقول إن الآب، هو ملاك الرب. هل هو الإبن وحيد الجنس، الذي يقول

عنه النبي: "ملك المشورة العظمى". هذا بالطبع لم يجهله الرسول بولس الذي أستعمل له أسرار الفردوس الخفية، أن هذا الوعد بقسم، قد أعطى من الإبن وحيد الجنس، يقول بولس الرسول: "إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْظَمُ يُقْسِمُ بِهِ، أَقْسَمَ بِنَفْسِهِ"<sup>١٥٢</sup>.

### ماهية الطبيعة الإلهية:

إِذَا كيف يقول هؤلاء إن الآب أعظم من الإبن، طالما أن الرسول بولس يؤكد على أنه ليس أعظم من الإبن؟ لكن لنأتي إلى الخمر الإنجيلي الجديد، حتى أننا بعدها نستقبل نحن أيضاً حرارة الروح بواسطة التعليم، نصير أوعية مناسبة لهذا الخمر، كي لا ننفصل ببعضنا عن بعض، وتهدر النعمة المخفية داخلنا. عندما أسمع المزمور الذي يتتبأ بمصير الخطأ، أتصور أنه يشير إلى المأساة والشدائد الحالية، لأنه يقول عن الخطأ: "رَأَعَ الأَشْرَارُ مِنَ الرَّحْمِ. ضَلَّوا مِنَ الْبَطْنِ، مُتَكَلِّمِينَ كَذِبًا"<sup>١٥٣</sup>. وكما أعتقد فإن رحم أولئك الذين يلدون

<sup>١٥٢</sup> عب٦:١٣.  
<sup>١٥٣</sup> مز٣:٥٨.

بحسب الله، هو الكنيسة. لأن الكنيسة تحرز بـ <sup>١٥٣</sup>  
 الذين يكتملون، وتقودهم إلى (نور). تحرز بـ <sup>١٥٤</sup>  
 أما الخطأة فهم مثل الأؤنة الذين عرقو. وزرعوا  
 الرحم، وإستبعدوا من البطن النفيّة. لا رُى في رحمة  
 الأم، الذين عصوا الإيمان أو الذين خرجوا عن  
 الإيمان، وأقول إن النبوة تتكلم عن الذين إستبعدوا  
 بسبب الخداع، وأنهم ضلوا من وقت أن كانوا في  
 البطن. يقول: " لهم سُم كسم الحياة" <sup>١٥٤</sup>. ليس فقط  
 حياة، حتى لا يقارنوا بهذه الحياة، إضافة إدابة  
 التعريف هنا (أي الحياة)، فيه تلميح إلى الخطية  
 الأصلية أو الأولى.

لكن الإشارة إلى الحياة، هي إشارة ملائمة، حتى  
 يظهر كل من يستخدم الفم الوقع ضد الروح القدس،  
 لأنهم يعتقدون أنهم يمتلكون الحجة أو الدليل القوي  
 ضد الروح، أي أن الكتاب المقدس لا يدعو الروح  
 القدس إليها (كما يعتقد هؤلاء، لأنني لا اتفق معهم  
 أبداً في هذا). ويدعون أن الأولوية، تعني طبيعة،

<sup>١٥٤</sup> مز ٥٨:٥ (س).

وهذا الإِلَمْ، لِيْسَ لَدِيِّ الرُّوْحِ الْقَدْسِ، وَإِنْطَلَاقًا مِنْ  
 هَذَا، يُبَرِّهُنَّ عَلَى أَنَّ الرُّوْحَ لِيْسَ لَهُ نَفْسٌ الطَّبِيعَةِ  
 الَّتِي لِلَّابِ وَالْإِبْنِ. لِيْكَنِ الْإِتَّهَامُ لِتَجْدِيفِهِمُ الْغَبِيُّ، هُوَ  
 الْحَيَاةُ. لَأَنَّهُ كَمَا نَقُولُ نَحْنُ، أَنَّ الطَّبِيعَةَ الْإِلَاهِيَّةَ،  
 لِيْسَ لَهَا إِسْمًا يَحْمِلُ مَعْنَى يَخْصُّ مَاهِيَّتَهَا أَوْ عَلَى  
 الْأَقْلِ بِالنَّسْبَةِ لَنَا (لِيْسَ لَهَا إِسْمًا). لَكِنَّ إِنْ كَانَ  
 يُنْسَبُ لَهَا إِسْمٌ، فَذَلِكَ إِمَّا مِنْ خَلَالِ مَا إِعْتَدَ عَلَيْهِ  
 النَّاسُ، وَإِمَّا مِنْ الْكِتَابِ الْمَقْدُسِ، فَهَذَا شَيْءٌ قَدْ قِيلَ  
 مَرْتَبِطًا بِالْأَمْرِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْطَّبِيعَةِ الْإِلَاهِيَّةِ، أَمَا  
 الطَّبِيعَةُ الْإِلَاهِيَّةُ ذَاتُهَا فَتَبْقَى غَيْرُ مُوصَفَةٍ، وَلَا يَمْكُنُ  
 التَّعْبِيرُ عَنْهَا، وَلَا شُرْحٌ، وَتَتَجَازُ مَعْنَى كُلِّ إِسْمٍ.  
 هِيَ فَرْصَةُ الْآنِ كَمَا أَعْتَدَ، أَنْ أَطْرُحَ عَلَيْكُمْ  
 الْكَلْمَاتُ الَّتِي وَجَهَتْهَا الْحَيَاةُ إِلَى حَوَاءَ، حَتَّى أُثْبِتَ  
 إِنَّ إِسْمَ الْأَلْوَهِيَّةِ لَهُ مَعْنَى يَخْصُّ قُوَّةً أَوْ عَمَلَ  
 الرَّؤْيَاةَ. نَصِيحَتْهَا، هِيَ أَنْ يَمْدَأْ أَيْدِيهِمَا، وَأَنْ يَأْكُلُوهَا  
 مِنْ الشَّجَرَةِ الْمَنْوَعِ الْأَكْلُ مِنْهَا، وَوَعْدُهُمَا بِشَكْلٍ  
 قَاطِعٍ بِالرِّيحِ الَّذِي سَيَأْتِي مِنْ هَذَا الْعَصِيَانِ: "تَنْفَتَحُ  
 أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللَّهِ" <sup>١٥٥</sup>.

---

. ١٥٥ تك ٣:٥.

## اللوهية الروح القدس:

أرأيت إن إسم الألوهية، يؤكّد قوّة أو عمل الرؤيّة. لأنّه من غير الممكّن أن ترى شيئاً. إنّما تفتح الأعْيُن. وبناء على ذلك فإنّ الألوهية، تعني قوّة الرؤيّة، وليس الطبيعة. ترى ألا يعرّفون بِـروح القدس، يرى؟ أم أنّهم جاهزون أن يجادلوا وينظرّوا هذا الأمر؟ إذًا إنّ كان يرى، فيكون ذلك بالطبع من خلال عمله وقوّته. فإنّ كانوا الآن، يتطلّبون أن يفهموا هذا الأمر بالمنطق، فمن غير اللائق ولا مقبول أن تستهلك الوقت في أمور مُعترف بها، ومع ذلك لنُضيّف هذا الكلام بسعة صدر وطول أناة، لمن لا يعرف هذه الأمور. من أعلن للرسول بطرس أن حانيا قد اقتطع جزء من ثمن الحقل المباع؟ كيف فهم أن حانيا سرق نفسه، إذ قد سرق خفيّة بالإشتراك مع زوجته؟ أم يكن الروح القدس داخل بطرس، والشّيطان داخل حانيا؟ لذلك قال القديس بطرس: "لِمَّاذَا مَلَأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتُكَذِّبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُّسِ... أَنْتَ لَمْ تُكَذِّبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى

الله<sup>١٥٦</sup>. وكما يقول البعض، إن من يُهين العقل،  
يُهين الإنسان، فإنهم بذلك لا ينسبون الإلهانة  
للأثنين، بل الإشارة هي لشخص واحد، يُعرف  
بأسماء مختلفة، هكذا قال القديس بطرس إن حانيا  
كذب على الروح القدس، وعلى الله، موضحاً لمن  
يفكرون بالتفويت، بأن الأثنين هما واحد.

ل لكن نحن أيضاً مُدركون للحقيقة، وشركاء  
للطبيعة الإلهية، بحسب عطية الروح القدس،  
بالنعمـة والرأفات ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع  
المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس،  
المجد والقوة والكرامة إلى الأبد آمين.

---

<sup>١٥٦</sup> أعـ:٥-٤.